Al-Adab Journal Issue. No (151) Supplement (December) 2024

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Interplay of Political Philosophy and Doctrine in Ismaili Thought

Lect. Hawraa Ata Alhassani (Ph.D.)
Ministry of Education - Open College of Education
hawraaata1987@gmail.com

Copyright (c) 2024 (**Lect. Hawraa Ata Alhassani (Ph.D.)**

DOI: https://doi.org/10.31973/a760zw12

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

This research presents an insightful perspective on the relationship between faith and politics within the Ismaili Shiite sect of Islam. It highlights the distortions and misrepresentations that Ismailism has faced from various groups, including hostile Sunni and Shiite Islamists, as well as Western Orientalists and Crusaders. The current research aims to shed light on the interconnectedness between the religious and worldly aspects of Ismailism, particularly the concept of the Imamate, which is seen as a theory of religious message and worldly leadership.

The research suggests that much of the distortion surrounding Ismailism is rooted in political and religious interference, where Muslims accused Ismailis of infidelity and distorted their faith for political reasons. Similarly, Orientalists and Crusaders are accused of recreating and misrepresenting the image of Ismailis in the Western imagination, fueled by myths, tales, and hostile imaginations stemming from the Ismailis' opposition to both the Crusaders and the Tatars.

Interestingly, the abstract draws a connection between these fantasies about Ismailis and contemporary terrorism, suggesting that there is an attempt to link Ismailism with terrorism in a continuation of the historical hostilities against this sect.

The research effectively sets the stage for a comprehensive exploration of the interplay between faith and politics within Ismailism, while also highlighting the need to confront the distortions and misrepresentations that have plagued this sect throughout history.

Keywords: Assassins, black legend, Ismailism, ,Nizaris, Orientalism.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

تداخل الفلسفة السياسية والعقيدة في الفكر الإسماعيلي

م.د. حوراء عطا الحسني
وزارة التربية– الكلية التربوية المفتوحة

(مُلَخَّصُ البَحث)

الإسماعيلية هي فرع من الشيعة الإسماعيلية التي تنحدر من الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق. كان الحشاشون جماعة من النزاريين الإسماعيليين الذين أسسهم حسن الصباح في القرن الحادي عشر في إيران وسوريا. اشتهروا باستخدام الاغتيالات السياسية. أدى ذلك إلى ظهور "الأسطورة السوداء" حول الحشاشين في الاستشراق الغربي التي صورتهم كجماعة إرهابية متطرفة. كانت الإمامة والرسالة من المفاهيم المركزية للإسماعيلية، حيث يؤمنون بسلسلة من الأئمة المعصومين والرسل الإلهيين.

تاريخياً، كان للإسماعيليين دور سياسي مهم، خاصة في المشرق الإسلامي وإيران. كان للدعاة المشاهير مثل حامد الدين الكرماني أدواراً بارزة في الرئاسة والسياسة الإسماعيلية.

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الترابط الوثيق بين العقيدة والسياسة وبين الأخروي والزمني لدى أغلب الفرق الإسلامية وبالتحديد الشيعة الإسماعيليين. وقد اخترنا الشيعة الإسماعيليين لما لحق هذه الفرقة من حيف وتشويه على يد أطراف مختلفة منها إسلامية سنية وشيعية مناوئة، وأطراف غربية استشراقية وصليبية مغرضة. وما هذا العداء الشامل للإسماعيلية إلى ترجمة توجهاتها التي تجعل من العقيدة نظرية للحكم تربط بين الديني والدنيوي وبين العقيدة والسياسة، فمن الواضح أن نظرية الإمامة لدى الإسماعيليين هي نظرية رسالة دينية ورئاسة دنيوية، وانتهى البحث في ذلك إلى نتيجة مهمة وهي أن أغلب تلك التشويهات التي لحقت بالإسماعيلية ترتبط بالتداخل السياسي والديني، ولذلك استخدم المسلمون الدين لتكفير الاسماعيليين وتشويه عقيدتهم، كما اتخذ المستشرقون والصليبيون أسلوب إعادة الإنشاء والتمثيل لصورة الإسماعيليين في المخيال الغربي على ضوء أساطير وحكايات الرحالة وأوهام من إنتاج الخيال العدائي للإسماعيليين الذين وقفوا موقفاً سياسياً وعسكرياً عدائياً صلباً بوجه كل من الصليبيين والتتار. وليس آخر تلك الحملات العدائية ضد الإسماعيليين من الربط بين تلك التخيلات عن الإسماعيليين وبين الارهاب المعاصر!

الكلمات المفتاحية: الإسماعيلية، الحشاشون، الاستشراق، الأسطورة السوداء، النزاريون، الامامة، الرسالة، الرئاسة، السياسة، الداعي

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مقدمة:

تظهر الحركات السرية وتزدهر عادة عندما تضطرب الحياة الاجتماعية، ويسود الطغيان والاستبداد، ويطغى الضيق والفقر والحرمان، فيشعر الناس عندئذ بحاجة ماسة إلى مقاومة الطغيان فتدفعهم تلك المقاومة إلى توحيد المضطهدين في حركة سرية ينشأ لهم أنصار ومؤيدون وأشياع وأتباع يجمعهم هدف واحد، ثم بعد مرور الزمن تختلف البواعث التي تهيب بهؤلاء الأنصار إلى الاندماج في الدعوة (عارف ثامر، ١٩٩١، ج١، ص١٢٢).

التنظيم الإسماعيلي كان منعدم النظير في اجتذابه الناس من مختلف الألوان والاتجاهات، فكان ثمة المثاليون المخلصون، والأبطال الأفذاذ، والعلماء والأمراء، والفدائيون الخلص، والأغوار المندفعون والمغامرون وجميع هؤلاء قاموا بضروب من الشجاعة والإقدام.

بُنِيَت الامامة عند الإسماعيلية على شكل عملية تراتبية هرمية تجمع بين الإلهي والزمني، فالإمامة والرئاسة لا يفترقان في الأئمة كما في الدعاة، ولذلك يعد البناء العقائدي بناء سياسياً في الوقت نفسه، كما يجتمع لديهم بناء العقيدة وبناء المجتمع وبناء الدولة على وفق نسق واحد يجمع الديني والدنيوي الإلهي والزمني. وهذا يفسر لنا طول المدة الزمنية التي قطعتها الدول التي أسسها الإسماعيليون مثل دولة آلموت في فارس والشام، والدولة الفاطمية في مصر والأدارسة في المغرب العربي وجزء من شمال أفريقيا. كما أن العداء الذي جوبِهَت به الإسماعيلية سواء من لدن كتاب الفرق المسلمين أو من لدن الرحالة والمستشرقين الغربيين ينبع من دوافع سياسية، فلا يغيب عن بالنا بأن كُتّاب فضائح الباطنية الذي كتبه الغزالي ضد الإسماعيليين كان بتشجيع وأمر الخليفة العباسي المستنصر بالله؛ لما يشكله الإسماعيليون من تهديد خطير ضد الدولة العباسية، وهكذا كان موقف التتار ثم الصليبيين، فلقد كان الدافع السياسي طاغياً في الصراع، وأخطر سلاح حورب به الإسماعيليون هو سلاح التشويه والتشهير والاتهام بالزندقة والخروج من الدين وإنكار الشريعة واباحة المحرمات والمنكرات وهي كلها افتراءات كشفت النصوص الإسماعيلية التي أفرج عنها بعد منتصف القرن العشرين بأن معظم تلك التشويهات والاتهامات مجرد أباطيل وكذب وافتراء.

ولا يقتصر الجمع بين العقائدي والسياسي على منهج الإسماعيليين كطائفة أو مذهب بل شمل أعدائهم من المسلمين السنة المتشددين مثل الغزالي وابن رزام، ومن الصليبيين الذين كانوا يرون في الإسماعيليين عامل مقلق ومعيق أمام توسعهم ولاسيما الفدائيون الذين يشكلون تهديداً خطراً للقادة الصليبيين الذين اغتالوا بعضهم باقتدار، ولهذا السبب يربط الأدب الغربي بين الإرهاب المعاصر والاغتيالات السياسية التي نفذها الإسماعيليون

النزاريون ضد أعدائهم ولاسيما الصليبيين، اكتسبت هذه الرواية التي تربط العنف والإرهاب بالدين، وتحديداً بالإسماعيلية النزارية، زخماً في مجال النظريات السياسية للعنف(Daryoush Mohammad Poor, 2019, pp.148-149).

يحاول هذا البحث أن يكشف ويحلل مواضع التداخلات السياسية والعقائدية في كل من نصوص الإسماعيلية ذاتها، وفي مواقف أعداء الإسماعيليين بكلا صنفيهم: المسلمون السنة المتشدّدون، ولاسيما كتاب الفرق منهم، والصليبيون، و الرحالة الغربيون والمستشرقون، فضلاً عن الدور الذي قام به المغول الذين دعموا الرحالة الإيطالي ماركو بولو ومكنوه من صياغة روايته الأسطورية عن الإسماعيلية وفرية الجنة والجبل وأسطورة الجبل، وكل ذلك تناوله هذا البحث تحت عنوان "الأسطورة السوداء". وتلك المواقف يفسرها هذا البحث على أنها يشتبك بها السياسي والخلافات العقائدية، والدور السياسي فيها الغلبة، وما المواقف الدينية والعقيدية سوى مبررات يستخدمها الحكام لتسويغ إبادة اعدائهم ومنح العنف ضد الخصم صفة شرعية أمام العامة.

إن أكبر عامل عقائدي-سياسي مورس تحت ظلاله العنف هو الخلافة والإمامة في تاريخ الإسلام، فتعدد صيغ الخلافة وعدم وجود صيغة ثابتة نصياً، أو الخلاف حول الصيغة الثابتة نصياً، فتح أفقاً أحمراً من العنف في تاريخ الإسلام، وقد استغل الغربيون قديماً وحديثاً هذا الخلاف لخلق خندق فاصل بين المسلمين يجعل أي عملية تفاهم ديني أو فلسفي غير ممكنة في ظله. ومن هنا تجد هذا الالتقاء الملفت في العداء للإسماعيليين بين كتاب الفرق المسلمين المتشددين وبين الغربيين من صليبيين ومستشرقين ورحالة مسيحيين. ولا يعني الكشف عن هذه الحقيقة تبني الكاتبة لأطروحات الاسماعيليين العقائدية ولا الدفاع عن عقيدتهم في تسلسل الامامة أو غيرها من المتبنيات بقدر ما أن انصاف الحقيقة يجعل الباحث أن يكشف عن العوامل الدفينة حول الصراع بين الطرفين، ومحاولة عرض العوامل الداخلية والخارجية التي شكلت فهماً مشوَّهاً عن فرقة مهمة من فرق المسلمين، مهما اختلفنا معها، تَشكَّلت على أساسها دولاً حكمت ومارست تأثيراً فكرياً وثقافياً في أرجاء واسعة من العالم الإسلامي امتدَّت من بلاد فارس مروراً بالشام إلى شمال أفريقيا، كما شملت القارة الهندية، ودولة كبيرة بهذا الحجم امتدت لقرون تشكل جزءاً مهما من تاريخ الإسلام لا بد وأنها كانت تحظى بتأييد ودعم جماهير واسعة من الشعوب الإسلامية المترامية الأطراف، حتى عُرف عن الإسماعيلية قدرتها على جذب الاتباع، واستهواء الشباب، وهذا ما حاول الغزالي والبغدادي من السنة وغيرهم من كتاب الفرق تفسيره ولكن بشكل مشوَّه للأسف بسبب

تداخل المواقف العقائدية والسياسية في التقييم العلمي الذي شحن مدوناتهم بالسلبية وأفقدها، في كثير من المواضع، الطابع الموضوعي.

المبحث الأول: الإمامة والسياسة:

تعتقد الطائفة الإسماعيليّة أن الإسلام قد بُني على سبع دعائم: الولاية "الإمامة"، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد. وتعدّ كل واحدة من هذه الدعائم ركنٌ ركيز في العقيدة الإسلاميّة، لا تُقبَل الأعمال بدونه، ولا يكون المرء مسلماً إن ترك أحدها، وتُعَد الإمامة في طليعة هذه الأركان والركائز، وأفضلها؛ لأن بها يتوصل المؤمن إلى بقيّة الدعائم (القاضي النعمان، ١٩٦٣، ص٢)، ومِن هذا المُنطلِق بالتحديد أبدت الطائفة الإسماعيلية اهتماما خاصّاً بالإمامة وحقيقتها وما يتعلَّق بها.

١. الدليل على الإمامة واستمراريتها:

من مسوغات ربط الإمامة بالسياسة لدى الشيعة عموماً ولاسيما الاسماعيليون منهم هو فهم الامامة بصفتها امتداداً للنبوة وضرورة حتمية تفرضها منظومة فكرية تنزِّه الله تعالى من العبث والعجز، قال الداعي السجستاني: "فإذا كان الله تعالى ذكره يرسل رسولاً عالمًا حكيمًا ليجمع الخلق بصفاء نفسه ولطافة ذهنه، بالقوة الممنونة عليه من وحي الله شريعة شريفة، وتنزيلاً محكمًا متقنًا، ثمّ لا يقيم لهما في الأزمنة من يحفظهما ويصونهما، كان ذلك من الله هزوًا وعبثًا وعجزًا. والله تعالى ذكره متعال منزه عن الهزل والعبث، منفي عنه العجز والضعف" (السجستاني، ٢٠٠٠م، ص١٦٩). فهذا دليلٌ على وجوب وجود الإمام الحافِظ للشريعة من تفاريع العَبَثْ وشُعَب الرفث، لأنك لو نظرت إلى ما حلَّ في المسلمين بعد غياب الرسول (ص)، من تكثّر الفِرق، وتشتت الحق، وضياع المسلمين، وتكفير بعضهم لبعض، وقتلهم أنفسهم، لتيّقنت الحاجة الماسَّة إلى من يوّحِد المسلمين ويصلح شأنهم، ويصون الشريعة من الزيف والباطِل، ويُري شيعته الحق كما أراده الله ونطقت به الشريعة المحمديّة، ثم صحيح أن هذه الفرق الباغيّة والعقائد الفاسِدة نراها موجودة في تاريخنا الإسلامي رغم حضور الإمام الحافِظ، لكن لا ننسى الالتفات إلى أن ما بقي لنا مِن الدين فإنما هو بجهود وصيانة حافظي الشريعة الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولولاهم لضاع الدين كُله، فالأمة لا تصلح إلا بالإمام ولا يقوم الدين، ولا يتم الفرض إلا به؛ وفي تركه هلاك الأمة والناس أجمعين وزوال الفروض، لأنه المرجوع إليه في مشكلات الناس في أمر الدين، وفي مسائل الخلاف، وهذا هو الدليل المشهور والمشترك عند الدعاة الإسماعيليّة على ثبوت الإمامة، وقد أورد الداعي الكرماني أربعة عشر دليلاً على الإمامة في كتاب المصابيح (الكرماني، ١٩٩٦، ص٦٣) ثم يستدل السجستاني على وجوب وجود الإمام في

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كُل زمان بدليلين نصيين من القرآن الكريم، الدليل الأول: قوله تعالى: "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ"(الأسراء، ٧١) ، وهذه الآية وحدها قاضيّة بأن لكل جماعة من الناس في أي زمان ومكان إمام موكل بهم مأمورين بإتباعه وموالاته، يُسألون عنه يوم القيامة، والدليل الثاني قياس مكوَّن مِن مقدمتين، المقدمة الأولى قوله تعالى: "وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" (الرعد، ٧) ، والمقدمة الثانيّة قوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا"(الأنبياء، ٧٣) ، ليستنتج بحسب فهمه مِن هذين الخبرين أن لكل قومٍ على مر الدهور إمام يهديهم، هو القائِم عليهم، والحاكم بأمر الله عليهم (السجستاني، ٢٠٠٠، ص١٦٧).

ثم أنهم لمّا أثبتوا أن الإمامة واجِبة وأنها ركن من أركان الإسلام ودعامة من دعائمه، وحُكم مِن أحكام الباري ثبت لها أن تكون دائمة غير منقطعة؛ لأن حكمها عند الله واحَد، والباري تعالى لا يُخالِف احكامه ولا يتخلَّف عنها (المنصور بالله الفاطمي، تثبيت الإمامة، ص ١٢-١٣).

والإمام الواجِب وجوده لحفظ الشريعة من الزوال والتحريف، إما ظاهِر وإما مستور، قال الخواجة الطوسي متكلِّماً عن مذهب الإسماعيليّة: "والزمان لا يخلو من إمام ودعوته، وهي ربما تكون خفيّة مع ظهوره، إلا أنها تكون ظاهرة حين خفائه البتة، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد المُرسَل" (الطوسي، ١٩٩٢، ص٨٧) والعِلة في تستّر الأئمة وخفاء دعوتهم اثنان، الأولى غلبة الأعداء وامتلاكهم السلطة ووسائل القمع والاضطهاد، فلو أظهر الأئمة عليهم السلام دعوتهم أمام هذه الفئة الظالمة، لتلاشت واندثرت ظُلماً وعِدواناً قبل تحقيق الهدف المرجو منها، والعلة الثانيّة هي لكي لا يتبعهم ويرافقهم السفهاء والغوغاء، ولا يكون بصحبتهم إلا العلماء والأولياء والراسخون في العِلم والحجج على الخلق، قال القاضي النعمان المغربي (القاضي النعمان، ١٩٧٠، ص ١٩١):

واشتدت المحنة بعد جعفر فانصرف الأمرُ إلى التستر
وكان قد أقام بعض وَلده مقامه لمّا رأى من جلده
فجعلوا الأمر لهُ في سترٍ فلم يكن قالوا بذاك يدري
لخوفِه عليه مِن أعدائه إلا ثقات محض أوليائه

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

٢. كيفيّة وجوب الإمامة:

ويذكُر نصير الدين الطوسي في رسالة قواعِد العقائِد، أن الإسماعيليّة تفترق عن الشيعة في جهة النسبة الفلسفيّة التي بين لزوم وجود الإمامة ومُفيضها تبارك وتعالى، فإن الإمامة عند الطائفتين واجبة الوجود بما حكم عليه العقل، ودلَّت عليه النصوص المقدّسة، والفرق بين الطائفتين في كيفيّة هذا الوجوب فقط، فهل الإمامة واجِبةٌ على الله أم مُوجَبةٌ مِن الله؟ فقالت الشيعة الإمامة واجبة على الله، وقالت الإسماعيليّة الإمامة واجِبة مِن الله (الطوسي، ١٩٩٢م، ص ٨٤).

٣. مراتب ودرجات الإمام

وجعلوا الإمامة على رتب ودرجات، لكل مرتبة منها خصائص وصفات تمتاز بها عن الأخرى، وكانوا يخفون هذه العقيدة عن الناس، لا يعلم بها أحد غير الدعاة والمقربين منهم، والمضمونين من أصحابهم، فأورثت شدة تحفظهم غموض دام فترة طويلة حيال تفاصيل فلسفة الإمامة عند الإسماعيليّة، مع أنهم كانوا يعطون الإمامة مكانة مرموقة وعالية في مذهبهم وفلسفتهم، ويعتقدون أن الإمامة بدأت من آدم، على الرغم من عدم وجود أدلة تاريخيّة لهذا الرأي، وقسّموها على سبع مقامات: ١. الإمام المقيم. ٢. الإمام الأساس. ٣. الإمام المتم. ٤. الإمام المستقر. ٥. الإمام المستودع. ٦. الإمام القائِم بالقوّة. ٧. الإمام القائم بالفعل. (الطوسي، ١٩٩٢، ص٨٥).

أ. الإمام المقيم:

وهذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأشرفها، وصاحبها هو الذي يقيم الرسول الناطق، ويعلمه ويبريه ويدرّجه في مراتب رسالة النطق، ويُنعِم عليه بكافة الإمدادات، وأحياناً يُطلِقون عليه (رب الوقت) و(صاحِب العصر)، وتعدّ هذه المرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها وأكثرها دقة وسريّة، والإمام القائم له أكثر من مصداق، منها هُنيد الذي ربّى وتعهد وأقام الرسول الناطق آدم (عليه السلام)، وفي دور آخر كان هود هو الإمام القائم الذي أنعم وربّى الرسول الناطِق نوح (عليه السلام) (عارف تامر، ١٩٩٨، ص ١٤٣، و مصطفى غالب، ١٩٨١، ص ١٤٨).

ب. الإمام الأساس:

قال الباحث المتخصص في التراث الإسماعيلي عارف تامر في تعريف الإمام الأساس: "هو الذي يرافق الرسول الناطق في مراحل حياته، فيكون ساعده الأيمن وأمين سره، والقائم بأعمال الرسالة الكبرى في حياته وبعد موته، وهو المنفذ للأوامر العليا، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرين في الأدوار، كما أنه صاحب التأويل. وفي عهد رسالة الناطق محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطوه لقب (وصي)، ولم يسبق لأحد من الأسس أن أخذ هذا اللقب" (عارف تامر، ١٩٩٨، ١٤٣) ويقصد هنا أن أول وآخِر مَن حاز لقب الوصي عند الإسماعيليّة هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد سبقه بالحصول على الوصيّة من الرسول الناطِق أسس غيره لكنّهم لم يحوزوا لقب الوصيّ، قال السجستاني: "و أول أدوار النطقاء دور آدم (عليه السلام) وقد أسند الوصيّة إلى ابنه شيث عليه السلام. . ."(السجستاني، ١٩٥٦، ص١٥٢) ثم في الدور الثاني أعطى نوح (عليه السلام) الوصيّة إلى ولده سام عليه السلام ونفس الأمر بالنسبة لنبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام)، فصحيح أن هؤلاء الأسس قائمين بأعمال الرسالة، ومنهم يتسلسل الائمة في الأدوار الزمنيّة، إلا أنهم لم ينالوا لقب الوصي المختص بأمير المؤمنين (عليه السلام).

قال الداعي بن الوليد في الإمام الأساس الذي أُسنِدَت إليه الوصايّة: "ويُعتقَد أن صاحب الوصية هو الذي جوهره لاحق بجوهره، وكماله مشتق من كماله، وأن معاني أقواله، ورموز شريعته، وأسرار ملته وحقائق دينه توجد عنده، ولا تتعداه، ولا تؤخذ إلا منه، وأنه المبرهن على أغراضه، والمفصح لأقواله، المبين لأفعاله، القائم بالهداية بعده لمن قصد المعرفة لما جاء به، والحافظ لشريعته من الآراء المختلفة، وبذلك كان وصياً، ولا يوجد في الأصحاب من يقوم مقامه..." (الداعي ابن الوليد، ١٩٨٢، ص ٦٥).

جـ. الإمام المتمّ:

هو الذي يتم أداء الرسالة في نهاية الدور، والدور كما هو معروف أصلاً يقوم به سبعة أئمة. الإمام المتم يكون سابعاً ومتمًا لرسالة الدور، وقوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه، ومن جهة ثانية يطلقون عليه اسم ناطق الدور لأنه هو النهاية وهو البداية أي أنه صاحب الانتقال والتسليم إلى الدور الجديد (عارف تامر، ١٩٩٨، ص١٤٣).

د. الإمام المُستقِر:

صاحب الحق في توريث الإمامة لولده، بموجِب النص على الإمام الذي يأتي بعده، وهو الأصل (مصطفى غالب، الإمامة وقائم القيامة، ص١٤٨).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

هـ. الإمام المستودَع:

هو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف الاستثنائية الصعبة نيابة عن الإمام المستقر ويكون له نفس الصلاحيات، إلا أنه لا يحق له توريث الإمامة ولا النص عليها ومن ألقابه «نائب غيبة». (عارف تامر، ١٩٩٨، ص١٤٤).

و. الإمام القائِم بالقوّة

ناقِصاً في ذاتِه، وهو القرآن (مصطفى غالب،١٩٨١، ص ١٤٨).

ي. الإمام القائِم بالفِعل:

تام في ذاتِه وفعله (مصطفى غالب، ١٩٨١، ص ١٤٨).

٤. شجرة الإمامة الإسماعيليّة:

والإسماعيليّة يرون أن شجرة الإمامة بدأت منذ آدم (عليه السلام)، واستمرت إلى يومنا هذا، وطبّقوا نظرياتهم في الإمامة على شخصيات التاريخ الإسلامي، وأضافوا إلى ذلك الأدوار والأكوار التي تتكون من مجموعة من درجات الإمامة عندهم: "مقيم ورسول ناطق وأساس وهكذا..." حتى يُختَم الدور بسبعة أئمة، يكون سابعهم من الأئمة هو متمم الدور، ثم الأدوار عندهم صغيرة وكبيرة، فالدور الصغير عبارة عن الفترة التي تقع بين كل ناطِق وناطِق، ويقوم فيها سبعة أئمة، أما الدور الكبير فيبتدأ من عهد آدم ويمتد إلى القائم المنتظر، ويسمّى دوره سابعاً (سبحاني، جعفر، ١٤٢٨هـ، ج٨، ص٢٣٥).

وبيان هذه الأدوار بحسب ما اختارته الفرقة الإسماعيليّة يحتاج إلى تَتبّع جيّد لأقوالهم من أمهات مصادرهم أو كِبار دعاتهم، لأننا وجدنا اختلافاً كبيراً في تفسير إمامة الأنبياء والأولياء بحسب الأدوار والإمامة الإسماعيليّة عند المعاصرين المهتمين بالتراث الإسماعيلي، وقد أشار الشيخ جعفر السبحاني إلى ذلك في كتابه بحوث الملل والنِحَل قائلاً: "فهذان الكاتبان اللذان قاما في عصرنا هذا بنشر آثار الإسماعيليّة، وتبيين عقائدها، قد صوّروا الأدوار السابقة بصورتين متناقضتين (سبحاني، ج٨، ١٤٢٨، ص٢٥٥).

والداعي السجستاني خير مرجع نستند إليه لمعرفة العقائد الإسماعيليّة، وقد قال في الأدوار والأكوار من زمن آدم عليه السلام إلى محمد بن إسماعيل: " فأَوَّل أَدوار النطقاء دور آدم عليه السلام، وقد أَسند الوصية إلى ابنه شيث عليه السلام، وتم دوره ستة بستة مِن الأئمِة حتى بلغ الأَمر في آخر الدور الى الإمام السابع، فارتقى مِن حد الإمامية إلى حد الناطقية، وهو نوح عليه الصلاة والسلام فَأقام الرسالة والرئاسة إلى الدور الثاني وأَسنَدَ الوصية إلى ولده سام عليه السلام، واتم دوره ستة بستة من الأئَّمة الى أن بلغ الأَمر في آخر الدور السابع الى الامام السابع فارتقى مِن حد الإمامية الى حد الناطقية، وهو إبراهيم

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

عليه الصلاة والسلام، فأقام بِالرسالةِ والرئاسة الى الدور الثالث، وأَسنَد الوصية الى ولده إسماعيل عليه السلام، وتمم دوره ستة بستة من الاِئَّمة إلى أن بلغ الأَمر في آخر الدور الى الإمام السابع وهو موسى عليه السلام، فارتقى من حد الإمامية الى حد الناطقية وأَقام الرسالة والرئاسة الى الدور الرابع، وأَسنَدَ الوصية الى يوشع بن النون عليه السلام وتمم دوره ستة بستة من الأئَّمة إلى أن بلغ الأمر إلى الإمام السابع وهو عيسى عليه السلام، فارتقى من حد الإمامية إلى حد الناطقية، وأَقام بالرئاسةِ والرسالة إلى الدور الخامس، وأَسندَ الوصية إلى شمعون الصفا عليه السلام، وتمم دوره ستة بستة من الاِئّمة إلى أن بلغ الأَمر إلى السابع وهو محمد ﷺ، فارتقى من حد الإمامية إلى حد الناطقية، وأَقام بالرسالةِ والرئاسة لِتمامِ الدور السادس وأَسندَ الوصية إلى ابن عمه علي بْنَ أبي طالب عليه السلام فبدَأَ دوره بستة من الاِئمةِ وهم الحَسن والحُسَين وعلي زين العابدين ومُحَمد الباقر وجَعفر الصادق وإسماعيل بن جعفر، فلما بلغ الأَمر إلى الإمام السابع وهو محمد بن إسماعيل اِرتقى مِن مرتبة الإمامية إلى مرتبة القائمية، وجعل الوعد إلى شروق الأَمر، وأن يستخلف بعده سبعة بسبعة مِن الخلفاءِ، وعند تمام العدد يكون البروز والنشور وبلوغ الأَنفَس إلى ما اعْده الخالق لها من الثوابِ الجزيل في دار البقاء بِحملِ كرامة الله وجوده، ومن الحدود الجسمانية (الإمام) ويُقال له (المتم) فمعنى المتم أن بالأئّمة تتم أَدوار النطقاء، على أن لكُل إمام متم حظه ونصيبه مِن دور ناطقة، ليبلغ الأَمر من الأول إلى الثاني، ومن ثانيه إلى ثالثه، ومن ثالثه إلى رابعه، ومن رابعه إلى خامسه، ومن خامسه إلى سادسه، ومن سادسه الى سابعه، الَّذي يرتقي مِن مرتبة الإمامية إلى القائمية لِيكون سابعاً على هذا الوزن أَولِياء وأَوصَياء." (السجستاني، ١٩٥٦، ص١٥٢-١٥٣).

ومن الواضح التداخل والتقارن بين العقيدة الدينية والسياسة في تلك الأدوار جميعاً، فكل إمام هو جامع في قيامه بين الرسالة بصفتها البعد الديني اللازمني، وبين الرئاسة بصفتها البعد السياسي الزمني. الوظيفة التعيينية للإمامة التي هي فرع النبوة جامعة بين الديني والزمني، ولأن هذا التقارن بين الدين والسياسة قائم في الوظيفة التعيينية للأنبياء، لذلك ستكون الإمامة التي هي فرع النبوة ومشتقة منها وتحمل كل وظائفها الدينية والزمنية باستثناء الوحي، جامعة في ذاتها بين الديني والسياسي، والأول هو البعد الموجه والقائد والمرشد للوظيفة السياسية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وقال الداعي أبو المعالي: "... وبيان ذلك وقبوله مِن آدَم عليه السلام ثم معرفة أولياء الله المقيمي الشرائع، في كُل عصر وزمان ومعرفة أوصيائهم الأسس والأئمة بعدهم وهم أصحاب الفترات في ادوار كُل ناطِق مِن النطقاء، وما أتى به كل منهم على انفراد، ومراتبهم ودرجاتهم وطلب ما أشارت إليه طائفة منهم بعد طائفة من ظهور آدم إلى ظهور القائم فكان ابتداء ذلك آدم وهو أول جسماني تعبَّد الله واظهر أمره... وكان شرفه في أساسه شيت، وهو هبة الله إليه ولم يزل الدور يتنقل من هابيل إلى شيت إلى برد إلى مهلائل إلى فالغ حتى كان ظهور نوح صاحب الدور الثاني، فنسخ ما جاءَ به آدم من الأَمر ولم يكن لآدم شريعة، وقد نصبَ نوح قبلته إلى المغرب وصلى إليها ثم أَشرق منه نوره في اساسه سام فتنقل من سام إلى ارفخشد إلى غابر إلى هود إلى شالخ إلى صالح إلى ارغو إلى ناخور ولوط وغيرهم حتى كان ظهور إبراهيم فنسخ شريعة نوح ونصب قبلته إلى البيت وانتقل النور إلى أساسه إسماعيل، ثم إلى قيدار ثم استلم إسحق شُؤون النبوة، ومن بعده يعقوب ويوسف حتى وصل إلى عمار وابن يامين وشعيب، وأما أصحاب فترته فهم أولاد يعقوب، قيدار ويهوذا ولاؤي، ثم ظهر من بعده موسى وهو صاحب الدور الرابع فنسخ شريعة إبراهيم وتوجه إلى المغرب اِقتداء بأَبيه نوح، وانتقل الأَمر من موسى إلى اساسه يوشع بن النون، لأن هٰرون اِنتقل في حياة موسى، فصار يوشع كفيلاً لأولادِ هٰرون، وبعد ستة أئمة رجع الأَمر إلى أولاد هٰرون، لان أولاد يوشع كانوا غير مستقرين، أما أصحاب الفترات، فهم عمران ويونس وذو الكفل، وأما عيسى عليه السلام فكان مثله عند الله كمثل آدم، ثم اِنتقل الأَمر منه إلى وصيه شمعون الصفا، وأما أصحاب الفترات بعده، فهم اصطفانوس ومرقيا وإلياس، ثم أتى محمد ﷺ وهو صاحب الدور السادس، فنسخ شريعة من تقدمه من النطقاء ونصب قبلته إلى البيت، كما فعل جده إبراهيم، وقام بباطن شرائع من تقدم قبله، والأئمة من بعده متممون شريعته ومحيون سنته قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...» [البقرة، ١٤٣]، فليس بعد شريعته شريعة تنسخها، قال الله تعالى «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ« [المائدة:٦٧]، فنصب له عند ذلك أساسه علي بن ابي طالب الذي كان له بمنزلة شيث من آدم وبمنزلة سام من نوح وبمنزلةِ إسماعيل من إبراهيم وبمنزلةِ هارون مِن موسى، وبمنزلةِ شمعون الصفا من عيسى، وهؤلاء كانوا أصحاب النطق إلى ظهور الأشهاد، وأن دوره هو دور القرآن العظيم، وهو الدور السابع الَّذي هو خاتم الدائرات العظمى ومنتهى السدرة، وقد كانَ له مِن الحجج اِثني عشر نكص منهم ثلاثة وظل على العهد تسعة، وقد جاء بالخبرِ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج باِثني

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

عشر، ومات فلم يستقم الثلاثة على الطريقة ولو اِستقاموا لأَسقيناهم غدقاً، واما الأئمة الستة القائمون بعد الأَساس علي فسابعهم محمد بن إسماعيل، وقد تاهت وضلت فيه أُولوا الضلال حينما زعموا اِنه القائم" (أبو المعالي، ١٩٥٦، ص ١٠٥-١٠٧).

فهذه هي أدوار النطقاء والأئمة، بالشكل الذي قرروه، ومع ذلك لا تخلوا هذه القضية من الاختلافات بين الدعاة أنفسهم، حتى وإن كانت فروقاً بسيطة، والشاهِد عليه أننا نجِد في النصين المُدرجين أحد الدعاة – وهو السجستاني – يقول أن الإمام محمد بن إسماعيل ارتقى من مرتبة الإماميّة إلى مرتبة القائميّة، وعلى خلافه الداعي أبو المعالي يعدّ القول بقائميّة محمد بن إسماعيل تيهٌ وضلال.

٥. إمامة محمد بن إسماعيل:

وقد سُميت الإسماعيليّة بهذا الاسم نسبةً إلى محمد بن إسماعيل الذي يعتقدون بإمامته، العمدة عندهم في النص على إسماعيل هو أن النص لا يرجع القهقري ولا يجوز على الله البداء، و بما أن النص على إسماعيل ثابت عند الفريقين فلا يجوز أن تنتقل الإمامة إلى أخيه الكاظم عليه السلام، فحتى لو مات إسماعيل في حياة أبيه على بعض الروايات فالإمامة تنتقل الى ابنه محمد بن إسماعيل مباشرة ولا ترجع الى أبيه فيعطيها للكاظم، لأن الإمام جعفر الصادق عليه السلام معصوم ويستحيل عليه أن يخالِف حدَّ الله جلّ وتبارك، فبهذا يثبتون إمامة محمد بن إسماعيل، قال الداعي جعفر بن منصور اليمن: "وعظمتم الفرية على الله وعلى أوليائه، وجهلتم أن الأمر رجع القهقرى، وتركتم قول الله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه . . .) ورجعتم إلى القول بالنكوص على الأعقاب، فرددتم إلى جعفر بن محمد الصادق؛ أوَليس قد تقدم في قصة يعقوب أنه أمر بالتسليم إلى يوسف وابيضت عيناه؟ وأنه لما غاب يوسف عن الدار لطلب هجرة، وتقضي المحنة. فقد يعقوب مجلسه، وجمع شمله، وكان يرسل أولاده في الآفاق يطلبون صاحب الأمر، وهو ما حكاه الله عن قوله لهم: ((يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (((يوسف، ٨٦). وجعفر الصادق أطهر نفساً، وأزكى روحاً من أن يتعدى حدود الله، وترون أن جعفر الصادق لما حضرته النقلة استخلف المنصور ضده على أهله وولده، كل ذلك صيانة لهم وستراً على ولي الله؛ ثم تفرقتم شعوباً وقبائل، فلا الأول عرفتموه، ولا الثاني صدقتموه، ففرقة منكم قطعت عليه، وقالت إنه سيعود إلى الدار فيملأها عدلاً ونوراً كما ملئت ظلما وجوراً، فركبت طريق النصارى في عيسى بن مريم الذي زعمت أنه قاعد على يمين الله مستعد للرجوع إلى الدنيا ليفصل بين الحق والباطل، ويقوّم كل معوج" (الداعي جعفر بن منصور اليمن، ١٩٩٠، ص ٢٤٧).

في ترتيبات التنظيم الإسماعيلي الذي نتحدث عنه بياناً واضحاً عن مدى الاعتناء الذي كانوا يبذلونه لاختيار الدعاة. فعلى هؤلاء كان يقوم نجاح الدعوة، أو بالأحرى على أساليبهم العلمية وبياناتهم القائمة على الإقناع والمنطق والعقل. وكان ذلك في عهود الأئمة، وليس في عهود النطقاء، وقد يتهيأ للإمام إقامة هذه الحدود، وقد لا يتسنى له لفقدان الساحة من أصحاب الكفاءات، أو بسبب أحوال طارئة. وهذه هي الأسماء:

(إمام، داع محصور، جناح أيمن أو يد يمنى، حجة أو باب، داعي الدعاة، جناح أيسر أو يد يسرى، داعي البلاغ، مكاسر، داع مطلق أو نقيب، مكالب، داع مأذون، مستجيب. (الداعي جعفر بن منصور اليمن، ١٩٩٠، ص ١٢٤).

١- الإمام هو أعلى سلطة في الدعوة وأرفعها بعد الناطق وبعد الوصي..

٢- الحجة أو الباب: هذه الرتبة تلي رتبة الإمام مباشرة، فالحجة هو نائب الإمام عند غيابه، والظل الذي لا يفارقه، ولا حجة من دون إمام، والباب اسم آخر يطلق على الحجة، ومعناه أنه باب الأسرار، ومستودع الأعمال.

٣- داعي الدعاة هو رئيس الدعاة المباشر، والمسؤول الأول أمام الحجة عن توزيعاتهم في الجزر والأقاليم، وعن ثقافتهم وخبرتهم، وهو المسؤول عن إقامة فروع الدعوة في المناطق والأقاليم، وكثيراً ما أخضع الدعاة إلى فحوص دقيقة، وإلى مراقبة مستمرة.

٤- داعي البلاغ: هو المسؤول عن تبليغ الأوامر وإيصالها إلى دعاة الأقاليم، ويعتبر رئيس القلم، والمراسلات والأمين العام على أسرار المراسلات والبلاغات وله الحق بالمفاتحة والمناقشة مع الفرق الأخرى، دون أن يحتاج في ذلك إلى إذن من داعي الدعاة.

٥- الداعي المطلق أو النقيب صاحب صلاحية السفر والتجول في كل مكان لنشر تعاليم الدعوة ومبادئها، ولا يخضع في ذهابه أو إيابه إلى الاستئذان من أحد. فهو يرتبط بداعي الدعاة مباشرة، فيستمد منه العلوم، ويطلق عليه أيضاً اسم «نقيب» أو «ذو مصة» لأنه يمتص العلم من داعي الدعاة، كما يمتصه داعي الدعاة من الحجة والحجة من الإمام، وفي بعض الأدوار يطلق عليه «ذو مصتين»، وهي رتبة أعلى بحيث يكون له الحق بتجاوز الأعلى منه والاتصال بداعي الدعاة (الداعي جعفر بن منصور اليمن، ١٩٩٠، ص ١٢٥، مصطفى غالب، ١٩٥٣، ص ١٦ .(17-

٦- الداعي المأذون رتبته أدنى من رتبة الداعي المطلق، فهو غير مأذون بمفاتحة أحد أو مناقشة أية فرقة أو السفر إلى منطقة أو بلد ما إلا بإذن من داعي الدعاة.

٧- الداعي المحصور رتبته أدنى من رتبة الداعي المأذون، فهو لا يستطيع أن يفاتح أحداً أو يبلغ أو يتكلم إلا في منطقة يحددها له داعي الدعاة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

٨- الجناح الأيمن والجناح الأيسر هذان الحدان ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق، فهما جناحاه أثناء جولاته الدعائية في الأقاليم، ويطلقون عليهما أحياناً «اليد» وجمعها «الأيادي» أي إنهما يقدمان الخدمات للداعي المطلق كما تقدم اليد الخدمات للجسم.

٩- المكاسر: تُعطى رتبة «المكاسر» لكل مكالب» تفوق وتفقه في مجال العلوم والفلسفة والفقه، وذلك بعد أن يجتاز الفحص المقرر ويُصبح قادراً على النقاش، والسيطرة على السامع بأسلوبه الساحر وبيانه الواضح وقد تنحصر مهمته بمناقشة رؤساء الأديان المتزمتين والمتعصبين فيكسرهم ويبطل حججهم. ويتلقى المكاسر الأوامر من داعي الدعاة مباشرة..

١٠- المكالب رتبته أعلى من رتبة المستجيب، وأدنى من رتبة المكاسر، صلاحياته تنحصر بالتجسس، وتنسم الأخبار وكل ما يتحدث به الناس عن الدعوة ونقلها إلى المكاسر». وقد يناط به الاتصال بالأفراد والشباب ومباحثتهم أو أخذهم إلى المكاسر لإعطائهم الدروس. (ينظر: عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص ١٢٦).

١١- المستجيب أول رتبة تُعطى للمنتسب إلى الدعوة بعد تأدية فحص مقرر من داعي الدعاة والدعاة الآخرين.

وهكذا كان للإسماعيليين في البلاد التي يدعون فيها لنظامهم الفكري تشريع خاص في معاملتهم أهالي تلك البلاد، كما كانت لهم ثقافة، وفلسفة مقررة ومدروسة، وذات منهجين المنهج العلني، والمنهج السري. المنهج العلني يقوم به الوزراء والحكام بالنسبة إلى عامة الشعب. أما المنهج السري فيقوم به الإمام ودعاته وحججه.

ومن التعاليم التي كانت تعطى للدعاة ... أن يبدأوا بإصلاح أنفسهم فهم أحق الناس بالورع والصلاح والتقوى والعفاف، والعمل بكل صالحة، واجتناب كل مكروه. وقد أجمل الإمام جعفر بن محمد الصادق في قوله لدعاته:

يحفظ الداعي هيبته عند أتباعه ويفرض احترامه عليهم من طريق تمتعه بعدة خصال: حسن الصمت، وخفض الجناح، ولين الجانب، وحسن العشرة، وجميل المخالفة، من غير تجبر عليهم، ولا تكبر في أمره عليهم، بل يكون التواضع سيماه، والوقار همته. وينبغي للداعي أن يكون مهيباً في غير تكبر ولا صلف، متواضعاً لا لمهانة ولا لضعف، فإنْ اجتمع له أمره، واستحكم واتصل له مراده، وانتظم وعده في أهل دعوته وعظم، فليحسن إلى محسنهم، ويقربهم على درجاتهم وينزلهم على طبقات أعمالهم، ولا يهمل أمرهم. وليدع عقوبتهم على ما يتضح له من ذنوبهم، ويصح له من إساءتهم. (عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص١٢٨). وأوجز الإمام السادس عشر، «الحاكم بأمر الله لدعاته الأوامر، والوصايا،

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

والأحكام.... وحدد داعي الدعاة خاصية مهمته بقوله: وخُذ العهد على كل مستجيب راغب، وشد العقد على كل منقاد ظاهر.... ممن يظهر لك إخلاصه، ويقينه، ويصح عندك عفافه، ودينه، وحضهم على الوفاء بما تعاهدهم عليه.

وقع انقسام اساسي بين الشيعة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق. فكان هناك من اتبع الابن الأصغر للإمام جعفر الصادق الإمام موسى الكاظم، والذين عرفوا بالاثنى عشرية. وكان هناك من دان بالولاء واتبع الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق الإمام إسماعيل، والذين عرفوا بالإسماعيلية. وبعد الإمام إسماعيل، تبعه ابنه الإمام محمد بن إسماعيل، الذي كان الإمام السابع، والذي خلفه ابنه وفي أحمد.

عبد الله بن محمد ابن إسماعيل أو (وفي أحمد) هو الإمام الثامن بالترتيب الإسماعيلي. ولد سنة ١٥٩ هـ. في بلدة محمد آباد الفارسية من ألقابه الرضا، والمستور، والناصر، والعطار، وعبد الله الأكبر... عاصر الرشيد والمأمون العباسيين، وعرف بين الناس باسم عبد الله بن ميمون القداح». قال عن نفسه بأنه حجة الإمام المستور المسمى «عبد الله بن محمد ابن اسماعيل، ولكي يصعب تمييزه سمى حججه «الأربعة الحُرُم»، ومن دعاته أيضاً : أبو الفقير، أبو سلمة، أبو الحسن الترمذي، وجياد بن الخشعي، وأحمد بن الموصلي، وأبو محمد الكوفي. لم يتوقف في فارس نشاطه، ولم يستكن للملاحقات والضغوط العباسية القاسية، بل كان يتنقل من بلد الى آخر لنشر التعاليم وتعيين الدعاة، وإقامة المراكز والحلقات. ولكن الظروف شاءت أن تظهر بوادر خلاف كبير بين الدعاة، فاضطربت الدعوة، وأخذ الخلاف يتفاقم ويزداد يوما بعد يوم، مما حمله على إغلاق باب الدعوة، وإيقاف النشاط، ثم غادر بلاد فارس دون أن يُعلم أحداً بالمكان الذي توجه إليه (عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص١٣٠).

هذا الحدث الرهيب، أقام الدعاة وأقعدهم، فتنادوا من كل جهة، و تناسوا خلافاتهم وأدركوا أنهم ارتكبوا أخطاء كبيرة وعقدوا اجتماعات متوالية لإعادة الأمور إلى طبيعتها، واتخذوا قراراً بإيفاد سبعة من الدعاة، وأناطوا بهم مهمة التفتيش عن الإمام فتفرقوا في كل جهة.

عاش الإمام عبد الله بن محمد في سلمية بسرية مطلقة، ولكنه لم يتوان عن ارسال دعاته الى كافة الجهات كما أنه أخذ بتأليف كتاب رسائل اخوان الصفاء، وخلان الوفاء». في عهده غلب اسم «قرمطي على كل اسماعيلي في بلاد الشام، وذلك تحقيراً وانتقاماً، ولكن الناس تهافتوا من كل حدب وصوب على الانتساب إلى الدعوة الاسماعيلية السرية، وخاصة سواد العراق والبحرين، وبلاد الخليج، ومناطق القبائل العربية في بلاد الشام والعراق. توفي

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الامام وفي أحمد عام ٢١٢ هـ في سلمية ودفن في مدينة مصياف في بلاد الشام ولا يزال ضريحه قائماً حتى اليوم. (ينظر: عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص١٣١).

أحمد بن عبد الله ابن محمد بن إسماعيل أو تقي محمد هو الإمام التاسع من جده علي بن أبي طالب، وثالث الأئمة الإسماعيلية المستورين. عرف بين الناس بأنه أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح. ويقول عن نفسه أنه أحد دعاة الإمام المستور أحمد بن عبد الله». ولد في مدينة سلمية سنة ١٧٩ هـ، واتخذ منها مقراً له ولدعاته السريين الذين كانوا في عهده في كل مكان. تثقف على يد والده الإمام عبد الله بن محمد، وأكمل رسائل اخوان الصفاء التي وضع والده عبد الله خطوطها الأولى. اعتمد التجارة مهنة له، عاصر المأمون العباسي، واشترك في إثارة الناس عليه، كما شاهد الثورات الداخلية التي هبت من حوله. كان يقضي فصل الصيف في مدينة مصياف. وقبل موته أوصى أن يدفن فيها. في عهده بلغت الدعوة الاسماعيلية أوج عزها وازدهارها وأقبل الناس من كل فوج على الانتساب إليها. أدرك ثورة بابك الخرمي وشاهد نهايتها .. ووجه دعاته وتمكنوا من ضم فلولها الى الاسماعيلية، ومن هنا اختلط الأمر على بعض المؤرخين فذهبوا الى القول بأن الخرمية هي الإسماعيلية، وهو رأي يرفضه الكاتب عارف تامر. توفي في مصياف عام ٢٢٥هـ. (عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص١٣٢).

الحسين بن أحمد ابن عبدالله الملقب بالأهوازي أو رضي الدين عبد الله هو الإمام العاشر من جده علي بن أبي طالب. ولد في بلدة مصياف سنة ١٩٨ هـ ، ولكن إقامته ونشاطه كانا في سلمية. ذكر أنه كان يمتلك ثروة طائلة، من ألقابه "التقي" و "الأهوازي". كان على علاقة وثيقة مع الأسرة العباسية التي تقطن سلمية دون أن يعرفوا شخصيته الحقيقية ونسبه.

عرف بين الناس باسم الحسين الأهوازي، وقال عن نفسه: إنه داع الإمام مستور من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق اسمه "الحسين بن أحمد". كان كثير التنقل والذهاب إلى بلاد فارس، والبحرين والحجاز، وكان يحضر مواسم الحج، ويشرف على شؤون دعوته في الأقاليم. التقى في الكوفة بقاسم بن فرح بن حوشب الملقب بمنصور اليمن وعلي بن الفضل كانا يدعوان للحسن العسكري إمام الشيعة الإثني عشرية، فتمكن من التأثير عليهما، وأحضرهما إلى سلمية، ثم جهزهما بعد أن درسا عليه النظام الفكري الاسماعيلي و أرسلهما إلى اليمن سنة ٢٦٨هـ. حقق أكبر الانتصارات في مجال الدعاية وبلغت الاسماعيلية في عهده أعلى مستوى من الانتشار في الأقطار الاسلامية، وكل هذا بفضل سهره، وبعد نظره،

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ودقته في التنظيم والإدارة، مات في سلمية سنة ٢٨٩ هـ، ودفن في مقام جده عبد الله بن محمد المعروف بمقام الامام اسماعيل.(عارف تامر، ١٩٩١، ج١، ص١٣٣).

المبحث الثاني: التضليل الاستشراقي حول الإسماعيليين النزاريين:

لقد بدأ مستشرقو القرن التاسع عشر دراستهم العلمية للإسلام على أساس مصادر المخطوطات الإسلامية المتوفرة آنذاك في أوروبا. كما أنتجوا عدداً من الأعمال حول الإسلام الشيعي واقسامه الفرعية، بما في ذلك الإسماعيليون. ومع ذلك، عند دراسة الإسماعيليين بشكل عام، و الإسماعيليين النزاريين تحت التسمية الخاطئة للحشاشين، على وجه الخصوص، فقد اضطروا إلى استخدام فئتين رئيسيتين من المصادر الأولية، أبرزها المؤلفون السنة والروايات الأوروبية المنقولة عبر الدوائر الصليبية. ونتيجة لذلك، فإن المستشرقين أيضاً، عبروا من غير قصد عن موافقتهم على التحريفات السابقة للإسماعيليين المتجذرة في "عداء" المؤلفين السنَّة في العصور الوسطى و"الجهل الخيالي" للصليبيين ومؤرخيهم الغربيين. كل هذا تغير بالطبع، بشكل جذري مع التقدم الحديث في الدراسات الإسماعيلية، استناداً إلى استعادة عدد كبير من الأعمال الإسماعيلية الأصيلة. على أية حال، في ظل هذه الخلفية ينبغي قراءة كتاب جوزيف فون هامر عن ما يسمى بالحشاشين، وهو أول دراسة استشراقية مخصصة بالكامل الإسماعيليين النزاريين في مدة آلموت (٤٨٣-٦٥٤/ ١٠٩٠-١٢٥٦)، تم تقييمه في عصرنا هذا، بعد قرنين تقريباً من نشره Daftary, Farhad, 2006, p.71)).

اختلاق "الأسطورة السوداء"

خلال تاريخهم الطويل والمعقد الذي يعود إلى منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي والخلاف على تراث الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ/٧٦٥ م)، كثيراً ما اتُهم الإسماعيليون بتعاليم وممارسات هرطقية مختلفة، وفي الوقت نفسه، كان يجري تداول عدد كبير من الأساطير والمفاهيم الخاطئة حولهم. يعكس هذا الوضع بشكل رئيسي الحقيقة المؤسفة المتمثلة في أن الإسماعيليين، حتى منتصف القرن العشرين، كان يُنظر إليهم ويُحكم عليهم بشكل حصري تقريباً على أساس الأدلة التي جمعها أعداؤهم أو غالباً ما اختلقوها. وبوصفهم الجناح الأكثر ثورية في المذهب الشيعي وله أجندة دينية وسياسية تهدف إلى اقتلاع العباسيين وإعادة الخلافة إلى خط الأئمة العلويين، فقد أثار الإسماعيليون منذ وقت مبكر عداء المؤسسة السنية ذات الأغلبية الحاكمة ضدهم. (فرهاد دفتري، ٢٠١٦، ٣٠٥-٣٠٦). ومع تأسيس الدولة الفاطمية بقيادة الإمام الإسماعيلي عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م، أصبح التحدي الإسماعيلي للنظام القائم حقيقة، ومن ثم أطلق الخلفاء العباسيون وعلماء السنة ما

كان بمنزلة حملة دعائية رسمية وواسعة النطاق ضد الإسماعيليين. كان الهدف العام لهذه الحملة المنهجية والمطولة هو تشويه سمعة الحركة الإسماعيلية بأكملها من أصولها إذ يمكن بسهولة إدانة الإسماعيليين بوصفهم ملاحدة أو "هراطقة" أو "منحرفين" عن الطريق الديني الحقيقي. (Daftary, Farhad, 2016, 71-72).

إن المجادلين السنة، على وجه الخصوص، بدءاً بأبي عبد الله محمد بن علي بن رزام الكوفي، المعروف بابن رزام، الذي عاش في بغداد خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (فواز بن معيوب الثبيتي، ١٤٣٥-١٤٣٦، ص٦٤ وما بعدها)، قام بتلفيق أدلة من شأنها أن تدعم إدانة الإسماعيليين على أسس عقائدية محددة. قام المجادلون بتلفيق روايات مفصّلة عن التعاليم والممارسات الشرّيرة للإسماعيليين في حين يدحضون النسب العلوي لأئمتهم، من نسل الإمام الصادق من خلال ابنه إسماعيل، وهو الاسم المستعار للإسماعيلية. وقد وفَّرت المنشورات الجدلية المناهضة للإسماعيلية مصدراً رئيسياً للمعلومات لكتّاب البدع من أهل السنة مثل البغدادي(ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) (البغدادي، عبد القاهر، ٢٠١٠، ص ٤٢-٤٨)، الذين بحثوا في الانقسامات الداخلية للإسلام. أثرت التقاليد الجدلية والهرطقية المناهضة للإسماعيليين بدورها على المؤرخين وعلماء الدين والفقهاء المسلمين الذين كان لديهم ما يقولونه عن الإسماعيليين.

المؤلفون السنة غير المهتمين بشكل عام بجمع معلومات دقيقة عن الانقسامات الداخلية للشيعة، والذين تعاملوا مع جميع التفسيرات الشيعية للإسلام على أنها "هرطقة" أو حتى "بدع"، استغلوا بسهولة فرصة إلقاء اللوم على الفاطميين، بل والمجتمع الإسماعيلي بأكمله، بسبب الفظائع التي ارتكبها قرامطة البحرين الذين انفصلوا عن الطائفة الإسماعيلية كمنشقين عام ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م، وهو نفس العام الذي أسسوا فيه دولتهم في شرق شبه الجزيرة العربية. (Daftary, "Carmatians, 4, p.832-833). وتجدر الإشارة إلى أن أعمال النهب الطويلة التي قام بها قرامطة البحرين بلغت ذروتها عام ٣١٧هـ/٩٣٠م عندما هاجموا مكة وذبحوا الحُجّاج ثم أزالوا الحجر الأسود عن موضعه و الذي أعيد إلى مكانه الأصلي في ركن الكعبة بعد عقدين فقط. وعلى أية حال، فقد ساهم هذا الحدث في نشر الروايات العدائية والتضليلات بشكل كبير التي أسهمت في تأليب المسلمين السنة بشكل عام ضد الإسماعيليين. (Farhad Daftary, The "Order of the Assassins, p.72.).

ومن خلال نشر التشهير والتشويه، أنتج المؤلفون المناهضون للإسماعيلية في الواقع "أسطورة سوداء" خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. تم تصوير الإسماعيلية على أنها هرطقة الإسلام الرئيسية، والتي صممها بعناية محتال غير علوي، يُدعى عبد الله بن

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ميمون القداح*[1]، أو ربما حتى ساحر يهودي متنكر بزي مسلم، يهدف إلى تدمير الإسلام من الداخل. (W. Ivanow، ١٩٤٦) بحلول القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كانت هذه الرواية، بتفاصيلها المتقنة ومراحلها السبع التي انتهت بالإلحاد والفجور، قد تم قبولها كوصف دقيق وموثوق للدوافع والمعتقدات والممارسات الإسماعيلية، على الرغم من أنها لا أساس لها في كتب الإسماعيلية الأصيلة، مما أدى إلى مزيد من الجدل المناهض للإسماعيليين والاتهامات بالهرطقة بالإضافة إلى تكثيف عداء المجتمعات الإسلامية الأخرى تجاه الإسماعيليين. (Daftary, Farhad, The "Order of the Assassins", p.72) هذه "الأسطورة السوداء" ذاتها تشكل أساس مناقشة فون هامر لأصول الإسماعيلية!!

أثارت ثورة الإسماعيليين الفرس بقيادة حسن الصباح*[2] (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م) ضد الأتراك السلاجقة، أسياد العباسيين الجدد، ردة فعل سنية قوية أخرى ضد الإسماعيليين بشكل عام و الإسماعيليين النزاريين بشكل خاص. انقسم الإسماعيليون إلى فصائل نزارية مستعلية نتيجة النزاع على الخلافة في أعقاب وفاة الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر عام

---

[1] عبد الله بن ميمون القداح، من أصحاب الإمام جعفر الصادق وروى كثيراً من الأحاديث عنه. وكانت هذه الشخصية الشيعية الحجازية المحترمة غير العلوية، والراوية للأحاديث، والمتوفاة خلال النصف الثاني من القرن الثاني/الثامن، قد قُدِّم في الدراسات الكتابات الجدلية المناوئة للإسماعيليين، بدءاً بابن رزام، على أنه مؤسس الدعوة الإسماعيلية التي ظهرت في القرن الثالث/التاسع، أي بعد عدة عقود من وفاته. وجرى أيضاً تصويره في صورة الجد الأكبر للخلفاء الفاطميين. وكانت الغابة من هذا التعريف المشوَّه نقض النسب العلوي للأئمة الإسماعيليين الأوائل وبواكير الخلفاء الفاطميين. ينظر: دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، ص١٩٦.

[2] "حسن الصباح (٤٨٣-٥١٨/١٠٩٠-١١٢٤) داعي اسماعيلي بارز ومؤسس دولة و دعوة إسماعيلية نزارية مستقلة. ولد حسن أواسط أربعينيات القرن الخامس/خمسينيات القرن الحادي عشر الميلادي في قم لأسرة شيعية إماميه كانت قد هاجرت من الكوفة إلى فارس. وفي السابعة عشرة من عمره تحول حسن إلى الإسماعيلية في الري، حيث كانت تقيم أسرته في ذلك الوقت. وبعد ذلك بفترة قصيرة قام داعي دعاة الإقليم، عبد الملك بن عطاش، بتعيينه في منصب في الدعوة الإسماعيلية في فارس. وأمضى حسن، عقب ذلك، ثلاث سنوات في مصر الفاطمية من أجل تعميق تعليمه في الإسماعيلية. وبعودته إلى فارس سنة ١٠٨١/٤٧٣ عمل حسن داعياً إسماعيلياً في أنحاء مختلفة من فارس في الوقت الذي كانت يخطط فيه لاستراتيجية ثورية ضد الاتراك السلاجقة الذين كان حكمهم الغريب ممقوتاً من قبل جميع طبقات الشعب الفارسي. وجاء استيلاءه على قلعة أموت في شمال فارس سنة ١٠٩٠/٤٨٣ كمؤشر على بدء ثورة الإسماعيليين الفرس العلنية ضد السلاجقة وعلى تأسيس ما سيصبح دولة إسماعيلية نزارية في فارس بأراضيها المبعثرة وشبكتها من القلاع الجبلية. وعندما نشأ نزاع على الوراثة عقب وفاة الإمام ـ الخليفة الفاطمي المستنصر سنة ١٠٩٤/٤٨٧،وقف حسن مؤيداً لقضية ولي العهد الأصلي المنصوص عليه، نزار، وأسس بصورة رسمية دعوة إسماعيلية نزارية مستقلة عن النظام الفاطمي. وإلى جانب كونه منظِّماً وسياسياً استراتيجياً من الطراز الأول، كان حسن الصباح رجل دين عالماً أعاد صياغة عقيدة التعليم الشيعية بأسلوب اشدُّ حيويةً وقوة. وتبنى الفارسية لغة دينية للنزاريين الناطقين بالفارسية، بدلاً من العربية. توفي حسن سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، ودفن في جوار ألموت. وعندما قام المغول بهدم ألموت سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، أقدموا على هدم ضريح حسن أيضاً".
دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت،ط١، ٢٠١٦، ص١٢٨-١٢٩.

٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م. وسمي الفصيلان على اسم أبناء المستنصر الذين ادعوا تراثه. كان استيلاء حسن الصباح على قلعة ألموت في وقت سابق من عام ٤٨٣ هـ/١٠٩٠ م بمنزلة الأساس لما أصبح فيما بعد الدولة الإسماعيلية النزارية في بلاد فارس وسورية. وفي النزاع النزاري– المستعلي، أيد حسن حقوق نزار في الإمامة الإسماعيلية وقطع علاقاته مع النظام الفاطمي في القاهرة الذي وقف إلى جانب القضية المستعلية. وبهذا القرار، كان حسن قد أسس أيضاً الدعوة النزارية المستقلة التي نجت من انهيار السلالة الفاطمية والخلافة الفاطمية عام ٥٦٧هـ/١١٧١م.(.Daftary, Farhad (2006), p.72.)

إسهامات الغزالي في اختلاف "الأسطورة السوداء":

لا تخفى على الباحث الجاد الدوافع السياسية لاختلاق "الأسطورة السوداء" ضد الإسماعيليين، والتي تزامن بعضها مع هجمات عسكرية على الموت ومعاقل النزاريين الأخرى في بلاد فارس، بدأها نظام الملك (ت ٤٨٥/١٠٩٢)، الوزير السلجوقي والسيد الفعلي لسيطرتهم لأكثر من عقدين من الزمن. وقد خصص نظام الملك نفسه فصلاً طويلاً في كتابه "سياسات نامه" لإدانة الإسماعيليين الذين، حسب قوله، يهدفون إلى "إلغاء الإسلام وتضليل البشرية وإلقائهم في الهلاك"!!

إن أقدم مقالة جدلية ضد الإسماعيليين الفرس ومذهبهم في التعليم، والتي تطرح ضرورة التعليم المرجعي للإمام الإسماعيلي في ذلك الوقت، كتبها الغزالي (توفي ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، أشهر عالم سني معاصر. ويتضح البعد السياسي الممزوج بالعقائدي لموقف الغزالي من أنه جاء استجابة لتكليف الخليفة العباسي المستظهر له بكتابة رسالة في الرد على الباطنية (الغزالي، ٢٠٠١، ص ٢٤)، وهي تسمية أخرى أطلقها أعداؤهم على الإسماعيليين واتهموهم بالاستغناء عن الظاهر أو الوصايا والأحكام ومحظورات الشريعة الإسلامية، لأنهم زعموا أنهم اكتشفوا الطريق إلى الباطن، أو المعنى الداخلي للرسالة الإسلامية كما فسرها الإمام الإسماعيلي. في هذا الكتاب واسع الانتشار، الذي اكتمل حوالي عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، اختلق الغزالي نظامه الإسماعيلي المتقن الخاص بالتعليم المتدرج الذي يؤدي إلى المرحلة النهائية من الإلحاد (الغزالي، ٢٠٠١، ص ٢١). والحقيقة أن الغزالي يسرد حكايته عن الإسماعيليين ومسمياتهم من دون الركون إلى أي نص اسماعيلي مقتبس من كتبهم الأصلية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ويكتفي الغزالي في سرده على خياله وأوهامه كمن يقص حكاية من وحي الخيال من دون الإحالة إلى مراجع معتبرة[٣*]. وينسب الغزالي لبعض فروع الإسماعيلية مثل الخرمية ادعاءات غريبة عجيبة من دون أن يسندها إلى مصدر معتبر من تعاليمهم ونصوصهم وإنما يرسل القول إرسالاً ويحكي عن القوم من وحي خياله، فيقول عنهم: "وأما الخرمية فلقبوا بها نسبة لهم إلى حاصل مذهبهم وزبدته، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات..."، ثم يحاول نسبتهم إلى المزدكية إذ يدعي أن الخرمية لقب اقتبسه الإسماعيليون من المزدكية "وهم أهل الإباحة من المجوس، الذين نبغوا في أيام قباذ، وأباحوا النساء وإنْ كنَّ من المحارم، وأحلّوا كل محضور..."(الغزالي، ٢٠٠١، ص ٢٣). والحقيقة أن كل هذه الاتهامات مجرد نسج لـ "الأسطورة السوداء" التي ستنتقل إلى المستشرقين من طريق الصليبيين الذين وجدوا في هذا العداء المذهبي سبيلاً إلى التشنيع بأعدائهم الإسماعيليين.

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن كلاً من نظام الملك والغزالي، اللذين جرى تبنّي تلفيق التهم من قبل كتاب سنة آخرين، كانا أيضًا على دراية بـ "الأسطورة السوداء" السابقة ضد الإسماعيليين. ومهما كان الأمر، فقد شارك المؤلفون السنة، بما في ذلك المؤرخون السلاجقة، بنشاط في الدعاية المتجددة ضد الإسماعيليين، في حين فشلت جيوش السلاجقة، على الرغم من قوتها العسكرية المتفوقة، في طرد النزاريين من حصونهم الجبلية.

[٣] لاحظ الصفحات من ٢١ فما بعدها حيث يفيض الغزالي في ذكر أصول الإسماعيلية وأئمتهم ومسمياتهم من دون الإحالة إلى مصدر من كتب الإسماعيلية، ويذكر تعاليمهم ويشنع عليها من دون أن يحيل إلى كتبهم الأصلية، ويستخدم تعبيرات متناقضة، فهو بعد أن يقص حكايته عن اصل تسمية القرمطية والتي جاء من شخص زاهد من أهل الكوفة يدعى حمدان قرمط، التقى بأحد دعاة الإسماعيلية وجرى بينهما حوار ينقله الغزالي، إلى أن ينتهي إلى نتيجته في قوله: "..ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استدرجه واستغواه واستجاب له في جميع ما دعاه..." لا حظ تعبير "تعليمه فنون جهله"!! وهو تعبير ينم عن تشويه مقصود ومتعمد.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المبحث الثالث: أسطورة الحشاشين والتشويه السياسي:

وسرعان ما وجد الفاطميون الإسماعيليون النزاريون عدواً مشتركاً في الصليبيين المسيحيين الذين وصلوا إلى الأراضي المقدسة واستولوا على القدس في عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وفي وقت لاحق، خاض الصليبيون مواجهات عسكرية ودبلوماسية مكثفة مع الفاطميين في مصر و الإسماعيليين النزاريين في سوريا، وكانت لها عواقب دائمة على صعيد الصورة المشوهة للنزاريين في أوروبا. بلغ النزاريون السوريون ذروة قوتهم وشهرتهم تحت قيادة رشيد الدين سنان[٤*]، داعيهم أو زعيمهم المحلي الرئيسي لنحو ثلاثة عقود حتى وفاته عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م. في زمن سنان، "رجل الجبل العجوز" بدأ المؤرخون الغربيون للحروب الصليبية وعدد من الرحالة والمبعوثين الدبلوماسيين الأوروبيين يكتبون عن الإسماعيليين النزاريين، الذين يلقبونهم بـ "الحشاشين". Farhad Daftary (Daftary (2006), p.74.).

إن مصطلح الحشاش الذي أطلق على الإسماعيليين النزاريين بمعنى مهين من قبل المسلمين الآخرين، التقطه في بلاد الشام الصليبيون ومراقبتهم الأوروبيون (فرهاد دفتري، معجم تاريخ الاسماعيليين، ص١٣١-١٣٢). ومن المهم أن نلاحظ أنه في جميع المصادر الإسلامية التي يشار فيها إلى النزاريين بالحشاشين، فإن هذا المصطلح يستخدم فقط بمعناه المجازي المسيئ لـ "الرعاع من الطبقة الدنيا" و"غير المتدينين المنبوذين اجتماعياً"، دون اتهامهم بالتورط فعلياً باستعمال الحشيش، وهو أحد منتجات القُنَّب (Ibn Muyassar, 1981, 101). إن التفسير الحرفي لمصطلح النزاريين كمستخدمين للحشيش متجذر في خيالات الأوروبيين في العصور الوسطى و"جهلهم الخيالي" بالإسلام والإسماعيليين. والحقيقة أن الأوساط الفرنجية ومؤرخيها الغربيين، الذين لم يهتموا بجمع معلومات دقيقة عن

[٤] "راشد الدين سنان ٥٨٩/١١٩٣ أعظم الدعاة الإسماعيليين النزاريين في سورية في العصر الوسيط. ولد راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد أبي الحسن البصري خلال عشرينيات القرن السادس ١١٢٦-١١٣٥ لأسرة شيعية إمامية قرب البصرة، حيث تحول في صباه إلى الإسماعيلية النزارية الشيعية. وأمضى فترة من الزمن، عقب ذلك، في ألموت، مقر القيادة المركزي للدعوة النزارية ودولتها، من أجل تعميق تعليمه الإسماعيلي. وبعد تولي حسن الثاني قيادة الدولة النزارية ودعوتها المركزية سنة ١١٦٢/٥٥٧ بفترة قصيرة بعث براشد الدين سنان إلى سورية ليقيم بين الجماعية النزارية بقية حياته. وسرعان ما أصبح سنان قائداً للإسماعيليين النزاريين السوريين. قام سنان بإعادة تنظيم الدعوة النزارية وجماعتها في سورية، وتحصين قلاعها، والحصول على قلاع أخرى جديدة في جبل البهراء. كما أنشأ كتائب من الفدائيين (الفداوية)، أي أولئك المخلصون المستعدون للتضحية بأنفسهم وتنفيذ مهام خطرة من أجل التخلص من أعداء بارزين للجماعة. وقد افسحت الطاعة العمياء لقيادتهم، إضافة إلى التقارير المبالغ فيها كثيراً حول عمليات الاغتيال التي قاموا بها، المجال لظهور عدد من الخرافات المتخيلة، ولاسيما في دوائر الصليبيين، تتعلق بالممارسات السرية لهؤلاء الطائفيين المعروفين للأوربيين في العصر الوسيط باسم الحشاشين [القتلة]. بينما اشتهر شيخهم سنان بأنه "شيخ الجبل" الأصلي في المصادر الغربية". ينظر: دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الاسماعيلي، ص١٥٠.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الإسلام كدين وأقسامه الداخلية رغم قربهم من المسلمين، ظلوا جاهلين تماماً بالمسلمين والإسماعيليين. وفي ظل هذه الظروف بدأت الدوائر الفرنجية نفسها بتلفيق ونشر عدد من الحكايات في الشرق اللاتيني وأوروبا حول الممارسات السرية للإسماعيليين النزاريين. ومن المهم أن نلاحظ أنه لا يمكن العثور على أي من هذه الحكايات المختلفة في المصادر الإسلامية المعاصرة التي جرى إنتاجها خلال القرن السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، على الرغم من تحيزها العدائي تجاه الإسماعيليين(Daftary, Farhad, The "Order of the Assassins, p.75.).

وقد تأثر الصليبيون بشكل خاص بالتقارير والشائعات المبالغ فيها للغاية حول الاغتيالات النزارية والسلوك الجريء لفدائييهم، وهم المخلصون المضحون الذين نفذوا مهام استهدفت الأماكن العامة وعادة ما فقدوا حياتهم في هذه العملية. ويجب أن نضيف أنه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كانت أي عملية اغتيال ذات أهمية تُرتكب في الأراضي الإسلامية الوسطى تُعزى بسهولة إلى خناجر الفدائيين النزاريين. وهذا ما يفسر لماذا أصبحت هذه الحكايات الخيالية تدور حول تجنيد وتدريب الشباب الفدائيين، لأنها كانت تهدف إلى تقديم تفسيرات مرضية للسلوك الذي قد يبدو غير عقلاني أو غريبًا للعقل الأوروبي في العصور الوسطى. تتألف هذه الأساطير المزعومة من عدد من الحكايات المنفصلة ولكن المترابطة، بما في ذلك "أسطورة الجنة"[٥*]، و"أسطورة الحشيش"، و"أسطورة قفزة الموت" (Daftary, Ferhad, 1994, pp.٨٨-١٢٧.).

ومن الغريب أنه لم يخطر ببال أحد أن ماركو بولو ربما سمع بالفعل الحكايات في إيطاليا بعد عودته إلى البندقية عام ١٢٩٥ من رحلاته إلى الشرق، وهي الحكايات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في أوروبا ويمكن إرجاعها جزئيًا على الأقل إلى حكايات أوروبية سابقة عن النزاريين في سوريا، ناهيك عن احتمال أن تكون أساطير الحشاشين الموجودة في رحلة ماركو بولو قد تم إدراجها بالكامل كمذكرة استطرادية كتبها روستيشيلو البيزا، الكاتب الرومانسي الإيطالي الذي كان في الأصل مسؤولاً عن تدوين رحلات الكتابة لماركو بولو. وفي هذا الصدد، يمكن الإشارة أيضاً إلى أن ماركو بولو نفسه قام على نحو واضح بمراجعة رحلته خلال السنوات العشرين الأخيرة من حياته، وفي ذلك الوقت كان من

[٥] وهي الأسطورة التي نقلها الرحال الإيطالي ماركو بولو عن الاسماعيليين النزاريين بأنهم أنشأوا جنة على الأرض يخدعون بها أتباعهم ويقنعونهم بأنهم عندما يموتون شهداء سيدخلونهم الجنة، ويستخدمون الحشيش لتخديرهم قبل ادخالهم تلك الجنة ليستيقظوا بعدها ويجدوا أنفسهم في الجنة بالفعل فيقتنعوا بأن قائدهم يستطيع بالفعل أن يدخلهم إلى الجنة، ليستطيع توجيههم بعد ذلك نحو قتل أحد الأعداء من القيادات الكبيرة لخصومهم سواء المسلمين أو الصليبيين. وهذه أسطورة لا شيء يدعمها من الواقع سوا العداء السياسي والديني.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الممكن أن يستولي بسهولة على أساطير الحشاشين السائدة آنذاك في أوروبا فيما يتعلق بالنزاريين السوريين. في الواقع، كان ماركو بولو نفسه، أو راويه، هو الذي نقل مشهد الأساطير من سوريا إلى بلاد فارس، بما في ذلك لقب "رجل الجبل العجوز" الذي تم تطبيقه الآن لأول مرة على المرشد الأعلى الإسماعيليين النزاريين المقيمين في قلعة آلموت في شمال فارس. المؤرخ المعاصر عطا مالك الجويني (ت ٦٨١/ ١٢٨٣)، وهو عدو صريح للنزاريين، رافق الفاتح المغولي (هولاكو) إلى ألموت عام ٦٥٤/ ١٢٥٦ وقام شخصياً بتفقد تلك القلعة ومكتبتها الشهيرة قبل أن يدمرها المغول. ولم يبلغ المغول عن اكتشاف أي "حديقة سرية للجنة" هناك، كما ادعى ماركو بولو. ومع ذلك فإن فون هامر، كما سنرى، يقبل هذه الرواية بكل تفاصيلها المزخرفة.

بحلول القرن الثامن/الرابع عشر، اكتسبت أساطير الحشاشين شهرة واسعة وتم قبولها كوصف موثوق للممارسات الإسماعيلية النزارية السرية، بنفس الطريقة التي تم بها التعامل مع "الأسطورة السوداء" السابقة للمجادلين السنة باعتبارها تفسيراً دقيقاً للدوافع والتعاليم والممارسات الإسماعيلية النزارية السرية. ومنذ ذلك الحين فصاعداً، تم تصوير الإسماعيليين النزاريين في المصادر الأوروبية في العصور الوسطى على أنهم نظام شرير من قتلة مخدرين عازمين على القتل العشوائي والإرهاب – وهي موضوعات واتهامات تتخلل كتاب فون هامر. وفي هذه الأثناء، اكتسبت كلمة "حشاش" بدلاً من أن تدل على اسم الطائفة النزارية في سوريا، معنى جديداً في اللغات الأوروبية. لقد أصبحت اسمًا شائعًا يشير إلى قاتل محترف. ومع انتشار هذا الاستخدام، سرعان ما نسي أصل المصطلح في أوروبا، في حين استمرت "الطائفة الشرقية" المحددة بهذا الاسم في المصادر الصليبية في إثارة الاهتمام بين الأوروبيين، ويرجع ذلك أساسًا إلى الشعبية المستمرة لأساطير الحشاشين الذين اكتسبوا حياة أسطورية مستقلة خاصة بهم. وبحلول نهاية القرن الثاني عشر/الثامن عشر، تم اقتراح العديد من أصول الكلمات الغريبة لهذا المصطلح، في حين كان الأوروبيون ما زالوا ينظرون إلى الإسماعيليين بطريقة مشوشة وخيالية تماماً. بعض هذه الروايات، مثل تلك التي أنتجها كميل فالكونيت (١٦٧١-١٧٦٢) وجي إف. ماريتي، جرى بالفعل الاستشهاد بها ضمن المصادر الغربية التي استخدمها فون هامر.(Camille Falconet, 1751, XVII, pp.127-170.,

بدأ مستشرقو القرن التاسع عشر، بدءًا من سيلفستر دي ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨)، دراستهم الأكثر علمية للإسلام على أساس المخطوطات العربية التي كتبها مؤلفون سنة بشكل رئيسي. ونتيجة لذلك، فقد درسوا الإسلام وفقاً لوجهة النظر السنية، وعلاوة على ذلك، فقد استعاروا تصنيفات من السياقات المسيحية وعاملوا المذهب الشيعي بوصفه تفسيراً "هرطقياً" للإسلام على النقيض من السنة، التي تم اعتبارها تمثل "العقيدة" الإسلامية. وعلى هذا الأساس بشكل رئيسي، فضلاً عن الانجذاب المستمر لأساطير الحشاشين، بدأ فون هامر ومستشرقون آخرون دراستهم الخاصة للإسماعيليين. وفي الوقت نفسه، ترك لدو ساسي أن يحل أخيراً لغز اسم "الحشاشين" في مذكراته الشهيرة عن الإسماعيليين النزاريين((Antoine I. Silvestre de Sacy,1818, pp.1-84. وعلى الرغم من أن المستشرقين حددوا الإسماعيليين بشكل صحيح على أنهم طائفة مسلمة شيعية، إلا أنهم ما زالوا مضطرين لدراستها حصراً على أساس المصادر السنية المعادية والروايات الغربية الوهمية للصليبيين. ونتيجة لذلك، فقد قاموا بتخليد "الأسطورة السوداء" المعادية للإسماعيليين لدى المجادلين السنة وأساطير الحشاشين لدى الصليبيين. إلا أن فون هامر، كما سنرى، قد تجاوز مصادره كثيراً في تقييمه السلبي للإسماعيليين النزاريين.

فون هامر وسوء فهم الاسماعيليين النزاريين:

لقد تلقى اهتمام المستشرقين بالإسماعيليين الآن زخماً جديداً من الروايات المعادية للإسماعيليين في السجلات السنية المكتشفة حديثاً، والتي بدت، مع تحريفاتها الخاصة للإسماعيليين، مكملة لأساطير الحشاشين الواردة في المصادر الغربية المعروفة لدى الأوروبيين منذ قرون. وفي ظل هذه الظروف، تغلغلت التحريفات والخيال الواضح والتشهير الفادح في أول كتاب غربي متخصص حصراً للدولة الإسماعيلية النزارية في بلاد فارس، كتبه الدبلوماسي المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر-بورغستال (١٧٧٤- ١٨٥٦)، (See J.T.P. de Bruijn, "Hammer-Purgstall," Encyclopaedia Iranica, 11: 644-646) الذي درس العربية والفارسية والتركية في الأكاديمية الشرقية في فيينا ليصبح دبلوماسيًا في الإمبراطورية العثمانية. في عام ١٧٩٩، بدأ فون هامر حياته المهنية كمترجم في سفارة النمسا في القسطنطينية. ومع ذلك، توقفت مسيرته الدبلوماسية في عام ١٨٠٧، وبعد ذلك، حتى تقاعده في عام ١٨٣٩، كان يعمل في بيروقراطية البلاط الإمبراطوري وإدارة الدولة في فيينا. وأنتج عددًا كبيرًا من الدراسات الشرقية في التاريخ والأدب، بالإضافة إلى طبعات وترجمات للنصوص. تراوحت منشوراته بين أعظم ما أبدع عن تاريخ الإمبراطورية العثمانية، وكتاب Geschichte des osmanischen Reiches

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

(بيست، ١٨٢٧–١٨٣٥) المؤلف من عشرة مجلدات، ومختارات واسعة من الأدب الفارسي والتركي، إلى طبعات من نصوص مثل كتاب طارق الوصاف والترجمات الألمانية، بما في ذلك أول ترجمة كاملة في لغة أوروبية لديوان حافظ (شتوتغارت، ١٨١٢–١٣). وكانت هذه الترجمة لحافظ هي التي زودت غوته بالمادة اللازمة لديوانه الغربي (هامبورغ، ١٨١٨). ومن بين أعماله الأخرى، كتب فون هامر تاريخ الأدب الفارسي تحت عنوان Geschichte der schönen Redekünste Persiens (فيينا، ١٨١٨)، ونشر الطبعة الأولى، مع الترجمة الألمانية، لـ Gulshan–i raz، وهي الأطروحة الصوفية الفارسية الشهيرة. محمود الشابيستري (توفي بعد ٧٤٠/١٣٣٩) بصفته روزنفلور دي جيهيمنيسيس لمحمود شبستري (بيست، ١٨٣٨). كان مؤلفنا أيضًا مؤسس Fund Gruben des Orients (العنوان الفرنسي: Mines de 'Orient)، وهي أول مجلة الدراسات الشرقية نُشرت في أوروبا خلال الفترة ١٨٠٩–١٨١٨ مع العديد من المساهمات لفون هامر نفسه. في المجمل، على الرغم من تعرضه للانتقاد في كثير من الأحيان بسبب عدم دقته وتعامله السطحي مع مصادره ولم يتم تعيينه أبدًا في كرسي أكاديمي، فقد اكتسب فون هامر لنفسه سمعة رائد في الدراسات الشرقية الحديثة "Hammer–Purgstall," (See J.T.P. de Bruijn, Encyclopaedia Iranica, 11: 644–646). ومن بين العديد من الأوسمة، كان حصل على وسام الأسد والشمس من قبل العاهل القاجاري في بلاد فارس.

في عام (١٨١٨)، من خلال الاستفادة من وليم الصوري، وجيمس فيتري وغيرهم من مؤرخي الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وقصة رحلات ماركو بولو، وعدد من الدراسات الأوروبية المربكة السابقة، بالإضافة إلى المخطوطات الإسلامية (مثل تاريخ جهان غوشة للجويني، تاريخ أبي الفداء، خطط المقريزي، روضة الصفاء ميرخواند، تاريخ ابن الفرات، تاريخ ظاهر الدين مرعشي تاريخ طبرستان وتأريخ واصف) في المكتبة الإمبراطورية في فيينا أو في مجموعات خاصة بما في ذلك مجموعته، والتي ضمت أيضًا أعمالًا تركية (مثل جامع التواريخ لمحمد كاتب، ونخبة التواريخ لمحمد أفندي، وتاريخ لارت)، نشر فون هامر كتابًا باللغة الألمانية مخصص لما يسمى "نظام الحشاشين"، أي الإسماعيليين النزاريين في مدة آلموت (Joseph von Hammer, 1818). هذا الكتاب تتبع لأول مرة بشكل كامل تاريخ الدولة النزارية في بلاد فارس، وغطى فترات حكم حسن الصباح وخلفائه السبعة في ألموت مع إشارات مختصرة إلى نزاريي سورية، يتألف الكتاب من سبعة فصول تضمنت فصلاً عن الإسلام المبكر والتاريخ المبكر للإسماعيليين. حقق هذا العمل الرائد نجاحًا كبيرًا في أوروبا وسرعان ما تُرجم إلى الفرنسية والإنجليزية (Joseph von Hammer, 1968)؛

واستمر في العمل حتى ثلاثينيات القرن العشرين باعتباره التفسير القياسي للموضوع (Freya Stark, 1934, p.228, Jean Claude Frere, 1973).

لقد كان فون هامر بالفعل هو الذي جمع، في شكله المعياري، بين موضوع المؤسس الإسماعيلي الشيطاني غير العلوي، المتجذر في الجدل السني (ص ٢٨-٣٧)، مع قصة إغواء الشباب المتأثرين بالحشيش في جريمة لا معنى لها، مبنية على كتابات ماركو بولو وكتابات أوروبية أخرى. لقد قبل رواية ماركو بولو في مجملها فضلا عن جميع الأعمال الإجرامية المنسوبة إلى النزاريين(Joseph von Hammer, 1968, pp. 136-138.) . وفي الواقع، وجد دليلاً إضافياً على صحة رواية ماركو بولو من خلال مقارنتها برواية تاريخية عربية كان قد اكتشفها عام ١٨١٣ في المكتبة الإمبراطورية في فيينا. وهذا العمل، هو سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، سيرة ذاتية تنطوي على مفارقة تاريخية للخليفة الفاطمي الحاكم (٣٨٦-٤١١/٩٩٦-١٠٢١)، ويبدو أنه كُتب حوالي عام ٨٣٣/١٤٣٠ ونُسبت خطأً إلى ابن خلكان (ت ٦٨١/ ١٢٨٢)، يضم قصصا عن حدائق الجنة السرية وإدارة الحشيش للفدائيين الإسماعيليين. وقد نشر فون هامر جزءاً من هذا العمل (Joseph von Hammer, 1813, pp.201-206) ، الذي تعرَّف على طابعه الخيالي ولكنه مع ذلك استشهد به كدليل كافٍ لتوثيق رواية ماركو بولو والتأكيد على أن حدائق الجنة النزارية السرية كانت موجودة بالفعل في كل من بلاد فارس وسوريا (Joseph von Hammer, 1968, p.136). يقول فون هامر، مقتنعاً تماماً بأبحاثه حول النزاريين، ما يأتي:

"ما رواه البيزنطيون والصليبيون وماركو بولو عنهم كان يعتبر لفترة طويلة أسطورة لا أساس لها من الصحة، وخيالًا شرقيًا. ولم تكن روايات الأخير أقل شكًا ودحضًا من تقاليد هيرودوت فيما يتعلق بالبلدان والأمم القديمة. ومع ذلك، كلما انفتح الشرق من خلال دراسة اللغات والسفر، كلما حصلت هذه السجلات الجليلة للتاريخ والجغرافيا على تأكيد أكبر؛ وصدق أباء السفر الحديث، مثل صدق أباء التاريخ القديم، لا يتألق إلا ببريق أكبر" (Joseph von Hammer, 1968, p.2.).

تتخلل فصول كتاب فون هامر عن عهود أسياد ألموت المختلفين، المشار إليهم باسم السادة الكبار، تفسيرات غريبة ومخالفة للأدلة التاريخية، على الرغم من ذكر التواريخ الصحيحة للعديد من الأحداث. يُظهر المؤلف، كما اتهمه معاصروه في الواقع، جهلًا تامًا بالموضوع الذي طرحه أمام نفسه. ومن أجل تقدير سطحية نص فون هامر وتشويهاته المتعمدة للإسماعيليين بشكل أفضل، يكفي مقارنة كتابه بكتابات المستشرقين المشهورين المعاصرين عن الإسماعيليين، بما في ذلك بشكل خاص الدراسات التاريخية دو ساسي نفسه

وإتيان م. كواترمير (١٧٨٢-١٨٥٧). (F. Daftary, 2004, pp.369-370, 386-388) وأيًا كان الأمر، فقد ظلت دوافع فون هامر الخبيثة واتهاماته الباطلة غير مكتشفة لأكثر من قرن! في الواقع، ظلت أحكام فون هامر القاسية و الانتقامية غير مسبوقة. لقد عدّ الإسماعيليين النزاريين في مدة آلموت مثل

"ذلك الاتحاد من المحتالين والمغفلين الذي، تحت قناع عقيدة أكثر تقشفًا وأخلاقًا أكثر صرامة، قوض كل دين وأخلاق؛ ذلك النظام من القتلة الذين سقط تحت خناجرهم أسياد الأمم؛ كلهم أقوياء، لأنهم كانوا على مدى ثلاثة قرون مرعوبين عالميًا، حتى سقط وكر الأشرار مع الخلافة، التي أقسمت لهم في البداية، باعتبارها مركز السلطة الروحية والزمنية، على التدمير، والتي غرقت تحت انقاضها".-(Joseph von Hammer, 1968, pp.1-2).

ولكنه ذهب إلى أبعد من كل معاصريه الأوروبيين والمصادر السابقة، وذكر أن "تاريخ الحشاشين وحدهم، في تكديس الفظائع فوق الفظائع، يفوق الجحيم نفسه"، جاعلًا من أسياد ألموت سلسلة من عمليات القتل مضيفًا أن "حراسهم كانوا مخلصين للموت، وقتلة عاديين" (Joseph von Hammer, 1968, 164). ومع ذلك، فإن أشد القدح شراسة الذي وجهه المؤلف كان موجهاً إلى حسن الصباح نفسه، مؤسس الدولة النزارية الذي، كما قيل لنا، كما يقول همر نفسه: "بدأ في بلاد فارس في أسرار الإلحاد والفجور الإسماعيلية". ويضيف فون هامر أيضًا أن "الطبيعة البشرية ليست في العادة شيطانية إلى الحد الذي يجعل المؤرخ يقرر دائمًا الأسوأ؛ لكن، في مؤسس مجتمع الرذيلة هذا، مؤسس نظام الحشاشين الإجرامي، يكون الأمر الأكثر فظاعة هو الأرجح"(Joseph von Hammer, 1968, p.72.) . كشفت الدراسات الحديثة أن حسن الصباح، وهو شخصية دينية متشددة، كان لديه مجموعة معقدة من الدوافع الدينية والسياسية لثورته ضد السلاجقة (F. Daftary, 1990, pp.334-371). ومن الواضح أنه بصفته زعيماً شيعياً إسماعيلياً، لم يكن يستطيع التسامح مع السياسات المناهضة للشيعة التي ينتهجها السلاجقة، الأبطال الجدد للإسلام السني. وعلى نحو أقل وضوحًا، كانت ثورة حسن ضد السلاجقة، الذين كان حكمهم الأجنبي مكروهًا بشدة في بلاد فارس، تعبيرًا عن المشاعر الفارسية، وهو ما يفسر نجاحها المبكر على نطاق واسع في بلاد فارس. كما واجه حسن الصباح أيضًا مهمة لا يحسد عليها وهي حماية واستقلال وسلامة مجتمعه في بيئة معادية للغاية. وعلى استعداد دائم لاتهام النزاريين بكل جريمة يمكن تصورها، لم يذكر فون هامر على الإطلاق مناسبات عديدة في أصفهان وأماكن أخرى في سلوق فارس عندما تم إعدام أعداد كبيرة من المتهمين بأنهم مجرد إسماعيليون.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وقد يتساءل المرء لماذا تجاوز فون هامر سلطاته في إدانة وتفنيد الإسماعيليين النزاريين، متجاوزاً حدود السجالات السنية وأساطير الحشاشين الواردة في مصادره الشرقية والغربية. لقد أصبح من الواضح الآن أن فون هامر، مثل فئتي المصادر التي استخدمها، لم يكن أيضًا مهتمًا بدراسة موضوعه موضوعياً وتحليلياً، حتى لو كان بإمكانه ذلك. بعد أن رفع حجابه "الشرقي"، يمكننا الآن أن نرى أن بحثه كان مدفوعًا باهتمام خفي مختلف. أراد فون هامر، الذي كتب بعد الثورة الفرنسية بمدة ليست طويلة، أن يستخدم معرفته بالمصادر الشرقية و الإسماعيليين النزاريين لينتج كتيباً عن العصر يحذر فيه ضد "التأثير الخبيث للجمعيات السرية في الحكومات الضعيفة، ومن بغاء الدين أمام أهوال الطموح الجامح(Joseph von Hammer, 1968, p.218). وتماشياً مع هذا المخطط، قام بشيطنة الإسماعيليين وعقد تشابهات وثيقة بين مفهومه لـ "نظام الحشاشين" من ناحية، والأنظمة والجمعيات السرية الأوروبية من عصره الذي كان يكرهه، مثل فرسان الهيكل، واليسوعيين، والمتنورين، والماسونيين، من جهة أخرى. وشدد على أوجه التشابه من حيث "درجات التنشئة المختلفة؛ وألقاب المعلم والرفاق والمبتدئين؛ والجمهور والعقيدة السرية؛ وقسم الطاعة غير المشروطة لرؤساء غير معروفين، لخدمة أهداف النظام" (Joseph von Hammer, 1968, p.217). وقد استمرت أوجه التشابه المماثلة في تسليط الضوء على الكتب الأحدث حول هذا الموضوع (J. Wasserman, 2001) . وهكذا، فقد تم النظر إلى كتاب فون هامر على أنه جدل ضد الخطر الثوري للجمعيات السرية أكثر من كونه تحقيقاً في الإسماعيليين النزاريين أنفسهم؛ ومن أجل إضفاء أقصى قدر من المصداقية على النتائج التي توصل إليها، شدد على جميع الرذائل المروعة التي وجد النزاريين متهمين بها، ملمحا إلى أن المرء يمكن أن يتوقع الشيء نفسه من اليسوعيين والجماعات المماثلة التي كانت أنظمة سرية مثل الحشاشين. اكتسب فون هامر شهرته كمستشرق ذي مجموعة أعمال مثيرة للإعجاب أضفت مصداقية لا مبرر لها على تصريحاته بشأن الإسماعيليين النزاريين، الذين ظل يُنظر إليهم بشكل أو بآخر على أنهم "جماعة من الحشاشين" حتى دفعت الأبحاث الحديثة في الدراسات الإسماعيلية في عقد الأربعينيات من القرن العشرين الباحثين إلى إعادة تقييم جذرية الإسماعيليين النزاريين.

إن التقدم الحديث في هذا المجال، والذي كان رائده دبليو. إيفانو (١٨٨٦-١٩٧٠)، سرعان ما مكّن مارشال هودجسون (١٩٢٢-١٩٦٨) من أن ينتج في عام ١٩٥٥ أول دراسة علمية وشاملة عن الإسماعيليين النزاريين في فترة ألموت، وإن كانت في حد ذاتها تحمل العنوان الخاطئ نظام الحشاشين، مع اعتذار المؤلف وتصحيحه فيما بعد

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

(Hodgson M.G.S. "The Isma'ili State," in The Cambridge History of Iran (Cambridge, 5:422 n.1.). حتى برنارد لويس، الذي لم يكن متعاطفاً بشكل خاص مع الإسماعيليين النزاريين، والذي لا يزال يسميهم بالحشاشين، وجد أنه من الضروري تلخيص نتائج الدراسات الحديثة هنا بالإشارة إلى أن الصورة الجديدة للحشاشين تختلف جذريًا عن الشائعات والأوهام الشنيعة التي جلبها الرحالة في العصور الوسطى من الشرق، وعن الصورة العدائية والمشوهة التي استخرجها مستشرقو القرن التاسع عشر من كتابات ومخطوطات علماء اللاهوت والمؤرخين المسلمين الأرثوذكس، الذين كان همهم الرئيسي هو التفنيد والإدانة، وليس الفهم والشرح. لم يعد الحشاشون يظهرون كعصابة من المغفلين المخدرين يقودها محتالون ماكرون، أو مؤامرة من الإرهابيين العدميين، أو كنقابة من القتلة المحترفين. ولهذا السبب إنهم ليسوا أقل إثارة للاهتمام.(Lewis B., 1967, pp.18-19)

لقد ألهبت أساطير الإسماعيليين، المتجذرة في الخوف والعداء والجهل والخيال، الخيال الشعبي لأجيال لا حصر لها. وجدت الجدالات السنية من أعداء الإسماعيليين المسلمين أتباعاً لها في أساطير الحشاشين الأصلية للصليبيين المسيحيين والمؤلفين الغربيين في العصور الوسطى، متجذرة في "جهلهم الخيالي"؛ ويتجاوز حتى هذه الروايات الكاذبة، أنتج فون هامر تحريفاته الخاصة للإسماعيليين النزاريين، الذين ما زالوا يشار إليهم خطأً باسم الحشاشين. لقد أثبتت الحكايات الغريبة عن الحشيش والخناجر وحدائق الجنة الأرضية أنها مثيرة للغاية بحيث لا يمكن إنزالها تماماً إلى عالم الخيال من خلال المزيد من التحقيقات العلمية في العصر الحديث. إن كون مثل هذه الأساطير لا تزال ذات مصداقية في بعض الأوساط، والتقابلات الجديدة التي يتم رسمها الآن بين الإسماعيليين النزاريين في زمن ألموت وأنشطة بعض الجماعات الإرهابية في العصر الحديث، تشهد على الحقيقة المؤسفة المتمثلة في أن الحدود بين الحقيقة والخيال في كل من المجتمعات الغربية والشرقية على حد سواء غالبًا ما تكون مختلطة وغير واضحة بسبب دوافع معادية للتحقيق الرصين ولاسيما الدوافع السياسية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المراجع والمصادر العربية:

١. أبو المعالي، رسالة الأصول والأحكام، موجودة في كتاب: خمس رسائل إسماعيليّة، تحقيق عارف تامر(١٩٥٦)، دار الإنصاف، سوريا.

٢. البغدادي، عبد القاهر(٢٠١٠) الفرق بين الفِرَق، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.

٣. تامر، عارف (١٩٩١)، تاريخ الإسماعيلية، الدعوة والعقيدة، الجزء ١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، ط١.

٤. تامر، عارف (١٩٩٨) الإمامة في الإسلام، دار الأضواء–بيروت.

٥. الثبيتي، فواز بن معيوب، (١٤٣٥–١٤٣٦) الرد على الاسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم في الصد عن شرائع الرسل والدعاء إلى إفساد الممالك والدول والرد على سائر الملحدين لابي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن رزام الكوفي الطائي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، السعودية.

٦. الداعي جعفر بن منصور اليمن (١٩٩٠) سرائر وأسرار النُطقاء، دار الأندلس، بيروت.

٧. الداعي بن الوليد (١٩٨٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد.

٨. دفتري، فرهاد (٢٠١٦) معجم التاريخ الإسماعيلي، ترجمة سيف الدين قصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، ط١، ٢٠١٦.

٩. القاضي النعمان بن محمد (١٩٦٣)، دعائم الإسلام، دار المعارف، بيروت.

١٠. القاضي النعمان (١٩٧٠) الأرجوزة المختارة، جامعة مجيل–كندا، ص١٩١

١١. الكرماني (١٩٩٦)، المصابيح في إثبات الإمامة، دار المنتظر، بيروت، ط١.

١٢. السبحاني، جعفر (١٤٢٨ هـ) بحوث في الملل والنِحل، ج٨، مؤسسة الامام الصادق، قم.

١٣. السجستاني (٢٠٠٠م)، الإفتخار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت.

١٤. السجستاني، (١٩٥٦)، رسالة تحفة المستجيبين، موجودة في كتاب: خمس رسائل إسماعيليّة، تحقيق عارف تامر (١٩٥٦)، دار الإنصاف–سوريا، ص١٥٢

١٥. المنصور بالله الفاطمي، تثبيت الإمامة، تحقيق سامي مكارم، طبعة خاصة، بلا معلومات نشر.

١٦. الطوسي، نصير الدين (١٩٩٢) رسالة في قواعد العقائد، دار الغربة الإسلامي، بيروت.

١٧. غالب، الدكتور مصطفى (١٩٨١) الإمامة وقائم القيامة، دار ومكتبة الهلال–بيروت.

١٨. غالب، الدكتور مصطفى (١٩٥٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت.

١٩. الغزالي، أبو حامد (٢٠٠١) فضائح الباطنية، مراجعة محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

References

1- A.F. Sayyid (1981), Ibn Muyassar, Akhbar Misr, ed. (Cairo, 1981), 102.
2- Antoine I. Silvestre de Sacy (1818),"Memoire sur la dynastie des Assassins, et sur l'etymologie de leur nom," in Mimoires de l'Institut Royal de France, IV (1818), 1-84; reprinted in Bryan S. Turner, ed., Orientalism: Early Sources, Volume I, Readings in Orientalism (London, 2000), 118-169; English trans.
3- Camille Falconet, "Dissertation sur les Assassins, peuple d'Asie," in Mimoires de Littirature, tircs
4- des registres de 'Acadcmie Royale des Inscriptions et Belles Lettres, XVII (1751), 127-170; English trans.
5- Daftary, Farhad, (2006), The "Order of the Assassins:" J. von Hammer and the Orientalist Misrepresentations of the Nizari Ismailis, Iranian Studies , Taylor & Francis, Ltd. on behalf of International Society of Iranian Studies, Mar., 2006, Vol. 39, No. 1..
6- Daftary, Farhad, "Carmatians," Encyclopaedia Iranica, 4.
7- Daftary, Farhad (1994) The Assassin Legends: Myths of the Isma'ilis (London, 1994).
8- Daftary, Farhad (1990), The Isma'ilis: Their History and Doctrines (Cambridge, 1990), 334-371; idem, "Hasan-i Sabbah and the Origins of the Nizari Isma'ili Movement," in F. Daftary, ed., Mediaceal Isma'ili History and Thought (Cambridge, 1996), 181-204, where further references are cited.
9- Daryoush Mohammad Poor (2019), Secular/Religious Myths of Violence: The Case of Nizārī Ismailis of the Alamūt Period, Studia Islamica, 2019, Vol. 114, No. 1.
10- Freya, Stark (1934), The Valleys of the Assassins and Other Persian Travels, London, p.228.
11- Hammer, Joseph von (1818), Die Geschichte der Assassins aus Morgenldndischen Quellen (Stuttgart and Tubingen, 1818).
12- Hammer, Joseph von (1968), The History of the Assassins, derived from Oriental Somrces, tr. Oswald C. Wood (London, 1835; reprinted, New York, 1968).
13- Hammer, J. von (1813), "Sur le paradis du Vieux de la montagne," Fundgruben des Orients III, Vienna.
14- Hodgson, M.G.S., "The Isma'ili State," in The Cambridge History of Iran (Cambridge, 5:422 n.1.
15- Ivanow, W. (1946),The Alleged Founder of Ismailism (Bombay, 1946).
16- J.T.P. de Bruiin, "Hammer-Purgstall," Encyclopedia Iranica, 11.
17- Jean Claude Frere (1973), L'ordre des Assassins, Paris.
18- Lewis, B. (1967), The Assassins: A Radical Sect in Islam (London, 1967).
19- Wasserman, J. (2001), The Templars and the Assassin: The Militia of Heaven (Rochester, VT, 2001).